



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





Oct Dec 1944

قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ۖ ﴾ الآية . سورة يوسف

سُورَةُ الْقَصَصِ

لواضعه

السيد

عَلِيٌّ فَرْحَانِي

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

الجزء الخامس

يشمل

١ - أمهات المؤمنين

٢ - بعض النساء الشهيرات

59190

الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طُبِعَ بِمَطْبَعَةِ عَيْسَى الْبَابِي الْجَلْبِي وَشِرْكَاهُ بِمِصْرَ

Mar. Dec. 1944

الاهراء

إلى روح (السيدة خديجة) رضى الله عنها
إلى أول انسان أسلم، وآمن وصدق برسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أول امرأة تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام
إلى أسعد زوجة فازت وتمتعت بأشرف زوج
إلى أفضل نساء أهل الجنة بنص الحديث الشريف :
« أفضل نساء الجنة: خديجة ، وفاطمة ، ومريم بنت عمران ، وآسية
امراة فرعون »
أهدى هذا الكتاب، راجياً من الله النفع به، وجزيل الأجر والثواب
وحسن المآب

السيد على فكرى

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله

مصر الجديدة فى يوم الاثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣

٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي وعليه توكل

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى
آله وصحبه أجمعين، وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين
وبعد ، فإن الاطلاع على سير أمهات المؤمنين، وشهيرات النساء، لمن
أعظم وسائل التربية والتهديب ؛ لأنها تدور حول التأسي والافتداء ،
ولا شيء يؤثر في النفس مثل القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة
قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
وقد كثرت في هذه السنين القصص الوضعية ، والروايات الغرامية ،
ومعظمها مفسد لأخلاق البنات ؛ بل والسيدات اللاتي أصبحن أشد
شغفاً بقراءتها ، وحضور تمثيلها

لهذا جعلت في هذا الجزء السير الشريفة لأمهات المؤمنين ، والدة
النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته، وغيرهن من شهيرات النساء الشريفات
الطاهرات، من السلف الصالح ليكون في مطالعتها ودراستها أحسن أسوة

للبنات ، وأعظم قدوة للسيدات ، يتخذنها نبراساً لارشادهن الى الطريق
الأقوم وتهذيباً لأخلاقهن ، وعظة وعبرة لهن ؛ لأن فيها قصصاً ،
وأمثلةً وعبراً كثيرة ، تدل على محاسن الأقوال ، وجيل الفعال ،
وشريف الخصال ، التي يجب أن تتخلق بها كل بنت وسيدة ؛ لتنال
اسماً شريفاً ، وسمعةً طيبةً ، وذكرًا خالداً
والله الهادي الى سواء السبيل

مصر الجديدة في يوم الاثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣

٢٠ اغسطس سنة ١٩٣٤

السيد علي فكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبد الله

امهات المؤمنين

١ — السيدة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ

نسبها - هي السيدة آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أم النبي صلى الله عليه وسلم
مناقبها - أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى به
حكيمة قومها

وكانت من الفصاحة والحكمة والبلاغة على جانب عظيم لم يسبقها
اليه أحد من نساء العرب

وفاتها - توفيت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بست سنوات
ودفنت (بالأبواء)

والسبب في دفنها هناك أن (عبد الله) والد الرسول عليه الصلاة
والسلام كان قد خرج الى المدينة يمتار تمراً فمات بالمدينة، فكانت زوجته
آمنة تخرج الى المدينة تزور قبره، فلما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ست سنوات خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة
رسول الله، فلما صارت (بالأبواء) منصرفه الى مكة ماتت بها

ويقال : ان أبا طالب زار أخواله بنى النجار بالمدينة وحمل معه أمنة فلما رجع منصرفاً الى مكة ماتت أمنة بالأبواء. وقيل : دفنت (بدار رائعة) وهو موضع بمكة، وقيل بمكة في شعب (أبي دب) وكانت من شاعرات العرب المجيدات: ومن شعرها قولها، وهي في نزع الموت، وكانت نظرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب بجانبها، فأسفت على تركه صغيراً وأنه سينشأ يتيماً من الأب والأم؛ ولكن تأست بما يناله من الفخر والمجد في قومه وفي العالم بأسره مما رآته منه في حال صغره وما رآته في منامها فقالت :

« بارك الله فيك من غلام يا بن الذى فى حومة الحمام »

« نجابعون الملك العلام فودى غداة الضرب بالسهام »

« بمائة من إبل سوام إن صح ما أبصرت فى المنام »

« فانت مبعوث إلى الأنام تبعث فى الحل وفى الحرام »

« تبعث بالتوحيد والإسلام دين أبىك البرّ ابراهيم »

« فالله أنهاك عن الاصنام ألا تواليها مع الأقوام »

ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى ، وأنا ميتة وذكري باقى وأسلمت روحها. وقيل : أن بعضهم رثاها بهذه الايات :

« نبكى الفتاة البرّة الأئمة ذات الجلال العمّة الرزينة »

« زوجة عبد الله والقرينه أم نبى الله ذى السكينة »

« وصاحب المنبر بالمدينه صارت لدى حفرتها رهينه »
 « لو فوديت لفوديت ثمينه وللمنايا شفرة متينه »
 « لا تبقي ظعانا ولا ظعينه إلا أتت وقطعت وتينه »
 « أما دلت أيها الحزينه عن الذي ذوالعرش يعلى دينه »
 « فكلنا والهة حزينه نبكيك للعطلة أو للزينه »
 « من كتاب الدر المشور »
 « في طبقات ربات الخدور »

٢ - السيدة خديجة بنت خويلد

« أم المؤمنين رضي الله عنها »

نسبها - كانت السيدة خديجة من أشرف نساء قريش نسباً ، وأوفرهن مالاً ، وأرجحن عقلاً ، وأجملهن خلقاً وخلقاً ، جمعت في تلك النفس العالية كل مزية مشرفة ، وخصلة باهرة ، أبوها (خويلد) من أشراف قريش ورجالها البارزين ؛ أما أمها فهي (فاطمة) ويتصل حبل نسبها بالشجرة النبوية المباركة وبذلك أصبحت (أم المؤمنين السيدة خديجة) أقرب الزوجات الطاهرات إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسيّاً

أدركت أواخر عهد الجاهلية وكانت لها مكانة سامية بين قومها لجمال خلقها وخلقها وكانت تدعى في الجاهلية (بالطاهرة) لطهارة سيرتها وتقائه سيرتها ، وقد اشتهرت من بين نساء قومها بحصافة العقل ، وجودة الرأي وطهارة القلب ، فخطبها لأول مرة (عتيق بن عابد) فتزوجته ثم مات عنها فتزوجت شريفاً آخر هو (أبو هالة) وولدت منه ولداً اسمه (هند) إلا أنه لم يعيش طويلاً وترملت مرة ثانية

ظلت السيدة خديجة في نضارة الشباب ، تحف بها أسباب الرفاهة والعز تقطن منزلاً فخماً ، وحولها العبيد والجواري ، فترفعها الأنظار وترفق

ماهى فيه من عز وفخار، ويتكاثر حولها طلاب يدها، أى زواجها من أعيان
 قريش ووجوهها فترفض كل طلب من غير أن تفضل أحداً على أحد
 زواجها من رسول الله : لقد من الله عليها بزواجها من محمد
 صلى الله عليه وسلم بعد أن رأت أمانته، ورجحان عقله وأصاله رأيه، وكرم
 خلقه، وذلك بحضور عمه أبى طالب وحمزة بمنزل عمرو بن أسد عم السيدة
 خديجة فى جمع عظيم من كرام قريش ونجباء عشيرتهم حيث نهض عمرو
 ابن أسد فقال :

(اشهدوا علىّ معاشر قريش أنى قد زوجت محمد ابن عبد الله خديجة
 بنت خويلد)

فما أعظمها من كلمة جمعت بين القمرين النيرين ، وقد بذل لها من
 الصداق ست أواق من الذهب وقيل ٤٠٠ دينار ، وبهذا أصبحت
 (خديجة الطاهرة) زوجة محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا صادق القوم
 على زواجه منها . وكان الرسول جالساً بجانبها أثناء العقد ، فلما انتهت
 الصيغة طلبت إليه أن ينحر جزوراً من الابل التى أصدقها عمه أبو طالب
 مهراً ، فنحر إحداها فى الحال ، وأطعم القوم ، وأمرت خديجة نساءها بالرقص
 فرقصن وغنين (وهى أول وليمة أولها صلى الله عليه وسلم)
 أما الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أفعم صدره سرورا حتى أن

عنه أبا طالب عند ما لاحظ حالته الروحية حمد الله كثيراً

١ — مثال الزوجة الصالحة

كانت خديجة في بيتها مع زوجها الجليل فخر النساء والمثل الأعلى في
المودة والوداعة، وحسن المعاشرة والترفع عن الكلفة، وبذل المعونة، تقوم
بواجباته وقضاء لوازمه بمجالل خاص بها

وتجتهد فوق ذلك كله بكل ما آتاه الله من ذكاء وفطنة، وبكل ما
جبلت عليه من شفقة ورحمة ورقة، أن تجعل أيام حياته تمر براحة وهناء
وأنس ووفاء

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في نظرها شخصاً فذاً ممتازاً يستحق
الحب الصادق، والتقديس الواجب

وكانت السيدة خديجة في نظره الزوجة الطيبة الصالحة، وكانت أول
من أسلم وآمن به

ولهذا مضت حياتهما المشتركة في وئام وسلام، فقضيا خمساً وعشرين
ربيعاً لم يعكروا صفوها عتاب صغير أو غضب طفيف

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخصها باحترام كبير فلها في نفسه
أسنى منزلة، وفي قلبه أسمى مكان، لا يفتأ يعترف بفضلها، حتى أنه لم يخطر
على باله طول معاشرته لها أن يتزوج من غيرها مع أنها كانت أكبر منه

سنًا، تزوجها وسنه ٢٥ سنة وقيل: ثلاثون سنة وهي في سن الأربعين وأقامت معه ٢٤ سنة

وقد رزقت منه صلى الله عليه وسلم ستة أولاد : ابنان، وهما القاسم وعبد الله، وأربع بنات وهن : زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء وفاتها - توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين في شهر رمضان (بالحجون) وهي ابنة ستين سنة ، ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها وحزن عليها حزناً شديداً وعظمت عليه مصيبتها

٢ — مثال من حبها للعمل والتجارة واستثمار المال

لما رأت عندها مالاً وافراً لم تتسكل عليه، ولم تنفق في زحرف الحياة الباطلة؛ بل فكرت في أحسن الطرق لثميره، ففكرت أن التجارة أشرف سبيل، ولا تكون رابحة إلا إذا قام بها الرجل السكف النشط الأمين، فكانت تختار من قومها من ترضى سيرته، فاختارت برأيها الثاقب محمداً صلى الله عليه وسلم النبي الأمين، فأرسلته في تجارة لها مع غلامها (ميسرة) إلى الشام، وكان عمره وقتئذ خمساً وعشرين سنة، وعرضت عليه أن تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، فسار بتجارته ولما رجع بالبضائع باعها، فربحت ربحاً عظيماً، وأصابته بذلك خيراً

عمياً ، وأوصلها الى السعادة الدائمة ، وكان هذا بدء تاريخ جديد للسيدة خديجة مع محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من هذا يفهم أنها رضى الله عنها كانت مفكرة عاقلة بعيدة النظر ، سديدة الرأي ، حسنة الاختيار ، لأنها اختارت الكفء الأمين للعمل في ما لها فاستفادت أحسن الفوائد

٣ — مثال من شجاعتها وصدق إيمانها وعزيمتها

كان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم يتعبد في غار حراء ، وكانت زوجته السيدة خديجة تعدُّ له ما يلزم من الزاد حتى اذا ما نفذ أعدت له غيره ، ولما نزل عليه الوحي بسفارة جبريل ورجع إليها تمتنع اللون قالت له : أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم ، وتؤدى الأمانة ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق

ثم ذهبت به إلى ابن عمها (ورقة بن نوفل) وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأعلمته بشأنه وسأله خديجة بعد ذلك قائلة : يا ابن العم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم . فجاءه جبريل فأعلمها ، فقالت له : قم فاجلس على فخذى اليسرى ففعل ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت : فتحول على فخذي اليمنى . ففعل ، فقالت هل تراه ؟ قال : نعم .
فألقت خديجة خمارها ، ثم قالت : هل تراه ؟ فقال : لا . قالت : يا ابن
العم اثبت وأبشر فإنه ملك وما هو بشيطان
فكانت خديجة أول من آمن به وصدقته

ولما علمه جبريل الوضوء والصلاة أتى إلى خديجة وعلمها فتوضأت
كوضوئه وصلت كصلاته

ولما سألت خديجة ابن عمها (ورقة بن نوفل) عن شأن محمد صلى الله
عليه وسلم ، وقصَّ عليه الرسول الكريم قصته قال له : إن الذى نزل
عليك هو الملك الذى كان ينزل على موسى وإني لنبى هذه الأمة
فاطمأن بذلك فؤاده الشريف

فمن هذه القصة يفهم أن السيدة خديجة كانت شجاعة قوية القلب
صادقة العزيمة إذ لو فوجئت بهذه الحادثة العجيبة امرأة غيرها لضاع
فكرها وارتبك أمرها

٤ — مثال المرأة الصبورة المعينة لزوجها على تحمل الأذى

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات يدعو قومه
سرّاً ، ثم أمر بالجهار بالدين فكان ذلك
وقد وجد عليه الصلاة والسلام من قومه فى أثناء هذه الدعوة

مالا يحتمله غيره سخرًا وعنادًا وهزؤًا ، وابتعد عنه الأقرباء ، وحرصوا عليه السفهاء فصبر على أذاهم ودأب في دعوته

وكانت السيدة خديجة تسعى في تخفيف آلامه ، وتساعده على دعوته، وتتحمل الأذى من أجله، صابرة لا تشكو ألمًا ولا ضجرًا، ولا تؤثر الراحة على ما تلاقيه من أنواع الأذى

فكانت السيدة خديجة بهذا العمل تضرب الأمثال للنساء لتعلمن أن المرأة الصالحة الصابرة الشكورة أكبر مساعد لزوجها في الملمات تقديه بما لها وببنفسها

بعض الأحاديث الواردة بشأنها

١ — ذكر سلام الله تعالى على خديجة رضي الله عنها

على لسان جبريل عليه السلام وسلامه

عن أبي هريرة قال : أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد خديجة قد أتتك باناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني (أخرجه الشيخان)
وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا خديجة إن جبريل يُقرئك السلام

وفي رواية أخرى : ان جبريل قال : يا محمد اقريء خديجة من ربها السلام . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا خديجة هذا جبريل يُقرئك من ربك السلام . قالت خديجة ، في أحسن جواب وأكرم خطاب : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام

٢ — ذكر تبشير النبي ﷺ خديجة عليها السلام

بييت في الجنة

عن أبي هريرة، أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: بشر خديجة بييت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة وما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ما ماتت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرها بييت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب

٣ — ذكر ثناء النبي ﷺ على خديجة رضى الله

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثني وأحسن الثناء عليها . فغرت يوماً وقلت : ما أكثر ما تذكروها، حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها فقال :

ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ
كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني أولادها إذ
حرمني أولاد النساء .
وعنها أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر ذكر
خديجة ، فقالت : لقد أخلفك الله من عجوز من عجائز قريش حمراء
الشدقين . قالت : فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمعراً
ما كنت أراه منه إلا عند نزول الوحي ، وإذا رأى الخيلة حتى يعلم أرحمة
أم عذاب ؟

٤ — ذكر أنها أفضل نساء أهل الجنة رضي الله

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خط رسول الله صلى الله عليه
وسلم أربعة خطوط وقال : أتدرون ما هذا ؟
قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أفضل نساء الله في الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ،
ومريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون

٣ - السيدة عائشة رضي الله عنها

أم المؤمنين

نسبها - السيدة عائشة رضي الله عنها هي بنت (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه ابن (أبي قحافة) من أعلام قريش عزاً وجاهاً وأحد الأربعة المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمها (أم رومان) بنت (عامر بن عويمر الكنانية) وكان مولدها سنة أربع من المبعث زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم : عقد عليها لرسول الله

صلى الله عليه وسلم في العام الثالث من انتقال زوجته السيدة خديجة الى دار الخلد والبقاء ، إلا أنه لم يدخل بها في عامه ؛ لأن الزمان والمكان لم يسمحا بتلك السعادة وقتئذ ، وكان صداقها أربعمائة درهم

وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين وقيل : سبع ، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع وقيل : عشر وكانت أحب نساءه اليه ، وكنيتها (أم عبد الله) ابن اختها (أسماء بنت أبي بكر) وهي الزوجة الثالثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه تزوج قبلها (سودة بنت زمعة) تزوجها في السنة العاشرة من النبوة ، وكانت

متزوجة قبله ابن عمها ، ولما كبرت أراد طلاقها صلى الله عليه وسلم فسأله ألا يفعل ، وجعلت يومها لعائشة ، وعاشت إلى أن ماتت في خلافة عمر رضى الله عنه

محبة الرسول لها - كانت أم المؤمنين (السيدة عائشة) أحب نساء الرسول اليه ، وكان يقبها الرسول صلى الله عليه وسلم (بالحمراء) ويحبها محبة أكيدة ، وكان من دواعى سروره صلى الله عليه وسلم أنه يرضيها ويعمل ما فيه سرورها وراحتها وهنائها ، حتى توثقت محبته لها وازدادت مكانتها في قلبه الطاهر

فمن أمثلة محبته لها: أنه قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس عندها مامعناه :

« إني أعلم وقت غضبك منى حيث تقولين إذ تحلفين: ورب إبراهيم؛ أما إذا كنت راضية عني فتحلفين برب محمد »

فأجابت : اننى يا رسول الله اذا غضبت أغفلت اسمك ، فأما حبي لك فلا يتغير

كان النبي ﷺ يقضى أكثر أوقاته بجانب زوجته المحبوبة عائشة وكان الناس أملاً في الحصول على رضا الرسول صلى الله عليه وسلم يتقدمون بهداياهم يوم عائشة

وكان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو بجانبها . فلذلك

كانت السيدة عائشة تشاركه في تأثراته النبوية، إذ كانت واقفة على دقائق أحواله وحركاته. وكل شأن من شؤنه

وقد شكّا زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من تحرى المسلمين يوم عائشة لهداياهم ، فاجتمعن الى (أم سلمة) التي تقدمت بذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم ورجته أن يحذر الناس من ذلك . فقال لها : « لا تؤذيني في عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها »

لم تياس (أم سلمة) من هذا الاخطار النبوى ؛ بل عادت الى تحقيق أملها ، وتوسلت هذه المرة (بفاطمة الزهراء) التي جاءت الى أبيها تحبزه بذلك

إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأها : هل تحبين من أحبه ؟ فلما ردت عليه بالايجاب قال لها : إذن أحبي عائشة لقد كانت لعائشة رضى الله عنها منزلة سامية في نفسه صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يقول لزوجه الطاهرة : « ان حبه لها كالعروة الوثقى التي لا انفصام لها »

فكانت السيدة عائشة تسأله من حين لا آخر اطمئنانا على مكانة هذه المحبة فتقول : كيف حال العروة يارسول الله ؟ فيجيبها : أنها على حالها لم تتغير ولم تتبدل

غيرة نساء النبي منها - ونظراً لشدة حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة كانت نساؤه يَغرن منها، فأرسلن السيدة فاطمة رضي الله عنها الى النبي صلى الله عليه وسلم وقلن لها: قولى له ان نساءك قد اجتمعن الىَّ وهن يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة

قالت عائشة رضى الله عنها: فدخلت فاطمة على أبيها وهو معى فى مِرْط (كِساء) ، فقالت له :

ان نساءك أرسلننى إليك ، وقد اجتمعن وهن ينشدنك العدل فى بنت أبى قحافة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتحيينى ؟ قالت : نعم . قال : فأحييا فرجعت فاطمة اليهن وأخبرتهن بما قال لها . فقلن لها : انك لم تصنعى شيئاً ، فارجعى اليه ، فقالت : لا والله لا أرجع اليه فيها أبداً . وكانت بنت أبيها حقاً (أخرجه أبو حاتم والنسائى)

غيرتها - عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً

قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما صنع فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟ فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال : أقد جاءك شيطانك ؟ فقلت : يا رسول الله ومعى شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل انسان ؟

قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم - أخرجه مسلم

وعن أم سلمة : أنها أتت بطعام في صحيفة لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فجاءت عائشة رضى الله عنها مستترة بكساء ومعها فبر فتلقته به الصحيفة فكسرتها . فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحيفة يقول : غارت أمكم ، غارت أمكم

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة عائشة رضى الله عنها فبعث بها الى أم سلمة وأعطى صحيفة أم سلمة عائشة رضى الله عنها قالت رضى الله عنها : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وخرج معه نساؤه ، قالت : وكان متاعى فيه خف ، وكان على جل ناج (أى مسرع) وكان متاع (صفيه بنت حبي) فيه ثقل ، وكان على جل ثقال بطى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حولوا متاع عائشة على جل صفيه ، وحولوا متاع صفيه على جل عائشة حتى يمضى الركب

قالت عائشة رضى الله عنها : فلما رأيت ذلك قالت : يا لعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم عبد الله ان متاعك كان فيه خف وكان متاع صفيه فيه ثقل ، فأبطأ بالركب فحولنا متاعها على بعيرك ،

وحولنا متاعك على بعيرها ، قالت : فقلت أليس تزعم أنك رسول الله؟
 قالت : فتبسم وقال : أوفى شك أنت يا أم عبد الله ؟ قالت : فقلت
 أولست تزعم أنك رسول الله فهلا عدلت ؟ فسمعتني أبو بكر وكان فيه
 عَرَب (أى حدّة) فأقبل على ولطم وجهي . فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : مهلاً يا أبا بكر . فقال : يا رسول الله أولم تسمع ما قالت ؟
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الغيرة لا تبصر أسفل الوادى
 من أعلاه ، أى أن الذى دفعها الى ذلك هو غيرتها ، وان المرأة اذا
 غارت لا تدرى ما تقول ، بل تكيل القول جزافاً

قناعتها وزهدها واحسانها - قد أثرت تعاليم النبي صلى الله عليه
 وسلم العالية في نفسها الكريمة، ووجدت منبتاً صالحاً، حتى تشرب قلبها
 النبيل بمبادئ الزهد والقناعة ، فكان (عروة بن الزبير) يقول عنها :
 رأيته تتصدق بسبعين ألف درهم في سبيل الله وهى في قميص خَلِقَ
 ترقع درعها (قميصها)

وبعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر كثير ثمين
 فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا كرم شديد ، ونفس
 سحمة ، وسخاء وافر ، وزهد في الدنيا ، وشدة إيمان بالآخرة
 وجاءها مال في غرارتين (ثمانون ومائة ألف درهم) وهى يومئذ صائمة
 فجلست تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم . فلما

أمست قالت : يا جارية هلمى أفطرى ، فجاءتها بخبز وزيت . فقالت لها أم درة : ما استطعت أن تشتري لنا بدرهم لحمًا فنفطر عليه ؟

قالت : لاتعفينى لو كنت ذكرتنى لفعلت

فأى سيدة شريفة مثلها التى آثرت الناس على نفسها ، وعلى أى شىء أفطرت ؟ وكم مقدار تواضعها فى خطابها لخادمتها ؟

برّها بأهلها - قال القاسم بن محمد بن أبى بكر : لما قتل أبى بمصر جاء عمى وحملنا الى المدينة فأرسلت عمى عائشة واحتملتنا من منزله فما رأيت والدته ولا والدا أبرّ منها ، فلم نزل فى حجرها (تحت رعايتها) الى أن بعثت الى عمى وتكلمت معه فى أمرنا فما رأيت أبلغ منها

وكان مما قالت : يا أخى إني لم أزل أراك معرضاً عنى منذ قبضت هؤلاء الصبية منك ، والله ما قبضتهم تطاولاً عليك ، ولا تهمة لك فيهم ، ولا لشيء تكرهه ، ولكنك كنت رحلاً ذا نساء ، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً فخشيت أن ترى نساؤك منهما ما تقدرن به (تكرهنه) من قبيح أمر الصبيان ، فكنت ألطف لذلك ، وأحق بالولاية

أما الآن فقد كبرا وصارا يمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعديات غيرها فاقبضهما اليك ، فانصرف عليهما مثنيًا ، وعنهما راضيًا

يستنبط من هذه القصة أنها كانت شفيقة ، بَرَّة ، بعيدة النظر ،
قوية الحجة ، فضيحة اللسان

برها بالغير - كانت تبذل مالهها من مال ونسب في وجوه البر
والخير بالغير ، وقضاء جاحات أهل العوز والمساكين ، وفي إعلاء كلمة
الدين . وعندما أسس سيدنا عمر بن الخطاب ديوان بيت المال في
زمن خلافته وخصص مرتبات سنوية لزوجات الرسول صلى الله عليه
وسلم ، فكان يعطى كل منهن عشرة آلاف درهم إلا عائشة فقد
جعل لها إثني عشر ألفاً ، وذلك لأنها كانت محبوبة للرسول صلى الله
عليه وسلم

ولذا كان تصرفها في وجوه البر والإحسان يبنى الإنسان
صفاتها الشريفة وعلمها الغزير - للسيدة عائشة رضي الله عنها ميزة
خاصة ، وشرف واحترام بين مخدرات العالم الإسلامي لم تتوافر لسواها
من السيدات ، فقد كانت أديبة ، لبيبة ، عالمة ، خطيبة ، شاعرة من
أفقه الناس ، وأعلم الناس ، وأحسنهم رأياً في العامة ، وعنها يقول
عروة بن الزبير :

ما رأيت أحداً أعلم بالقرآن ، ولا بفقهِ ولا بشعر ، ولا بحديث من
عائشة رضي الله عنها ، ولها خطب شهيرة ، وكان معاوية يقول : لم أسمع
خطيباً أبلغ ولا أفصح من عائشة

ياله من فخر تحوزه السيدة عائشة، تلك التي استطاعت في فترة كبيرة من حياة الرسول الشريفة أن تدخل عليه السرور والراحة ، وتعمر قلبه بالغبطة والأنس، فكانت أمام عينيه الشريفتين المثل الأعلى للسعادة وما كان ينقصها في حياتها إلا أن تكون أمًّا لكيلا تحرم من التكني باسم طفلها؛ إلا أن سيد الكائنات لم يدع سبيلا إلى غمها من هذا القيل فكنّاها بابن اختها (عبدالله بن الزبير) إذ كان قد درج في البيت النبوي وشبَّ بين أحضان الأسرة النبوية المطهرة

وكانت من أحب خلق الله إليه هي وأبوها الصديق ، كيف لا وقد أضاءت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمها وجمال نفسها حتى صارت الدرة اللامعة في تاج تلك الأيام السعيدة المباركة

وقيل : أنها روت ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الرجال يقصدونها بعد وفاة النبي صلوات الله عليه ليسألوها في العلم فتفتيهم فيه من وراء حجاب لما اتصفت به من كمال الفضل وتمام الأدب

ورعها وخوفها من الله - عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء عمي من الرضاعة يستأذن عليّ فأبيت أن أذن له حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء الرسول قلت ان عمي من الرضاعة استأذن عليّ فأبيت أن أذن له . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فيلج عليك عمك : إنما أرضعتني امرأة ولم يرضعني الرجل . فقال
انه عمك فيلج عليك

تعبدها - عن عروة أن عائشة رضى الله عنها كانت تسرد الصوم
وعن القاسم : أنها كانت تصوم الدهر ، لا تقطر إلا يوم أضجى أو يوم فطر
وعنه قال : كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضى الله عنها فأسلم
عليها فغدوت يوماً فاذا هي قائمة تسبح وتقرأ : ﴿ فَمَنْ اللَّهُ عَلِيمًا وَوَقَانًا
عَذَابَ السُّمُومِ ﴾ وتدعو وتبكي وتردها ، فقامت حتى ملئت القيام
فذهبت الى السوق لحاجتي ، ثم رجعت فاذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي
وكانت تزور الكعبة في كل عام ، ثم تعود الى المدينة ، فهذه الزيارات التي
دامت الى السنة الرابعة والثلاثين من الهجرة ألكسبتها عاطفة حب
شديد واحترام فائق نحو شخصها المحبوب من أهل المدينة الذين كانوا
يقدرون ذكاءها وحسن رأيها

حيائها - عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أدخل البيت
الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى رضى الله عنه واطعة
ثوبى وأقول : إنما هو زوجى وأبى ، فلما دفن عمر رضى الله عنه والله ما
ما دخلته إلا مشدودة على ثيابى حياءً من عمر رضى الله عنه
عفتها وبراعتها مما نسب اليها - مما يؤسف له أنه حدث حادث
مؤلم للسيدة عائشة غير قلب النبي صلى الله عليه وسلم وحول بعض حبه

عنها فترة قصيرة من الزمن، وهذا الحادث هو حديث الإفك الوارد في سورة النور من القرآن الكريم، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم استصحب زوجته السيدة عائشة في الغزوات وبينما هو قافل إذ انفرط عقدها فرجعت لتتمسه، فظن سائس راحتها أنها في هودجها فاحتمل الهودج على الراحلة وسار مع الركب فلما رجعت لم تجد أحدا فمكثت مكانها فمر بها (صفوان بن المعطل السامي) فرآها فأركبها ناقته، فأوصلها إلى الجيش فاتهمها جماعة من المنافقين في عفتها. فلما تحدث الناس بهذا الأمر وبلغ السيدة عائشة مكث حتى أصبحت لا يهدأ لها بال ولا تكتحل عينها بنوم فلما سمع أبوها أبو بكر بكاءها ونوحها طيب خاطرها وقال لها : صبرا يا بنية عسى الله أن ينزل في شأنك آية

وبينا أبوها عندها وهي تبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فلبثت تبكي معها، وبينما هم على تلك الحال إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس، ولم يجلس عندها من يوم هذا الحادث وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأنها بشيء، فتشهد الرسول عليه الصلاة والسلام حين جلس ثم قال :

أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه؛ فلما قضى رسول الله صلى

الله عليه وسلم مقالته استعصى دمعها لاستعظام ما بغتها به من الكلام
وقالت لأبيها وأُمها :

إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث الناس به حتى استقر
بأنفسكم وصدقتم به، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة
لتصدقني، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال :
﴿ فَصَبْرٌ حَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾

وبعد أن أتمت مقالتها تحولت واضطجعت على فراشها وهي تعلم
إنها لبريئة وأن الله مبرئها، وقد حدث ما كانت ترجوه ، إذ نزلت على
الرسول صلى الله عليه وسلم آيات في براءة السيدة عائشة رضي الله
عنها ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وما بعدها من الآيات
وقد زال بعد نزول هذه الآيات ما كان بين الرسول وزوجه من
الجفاء بسبب حادثة العقد ، وثبت له عفتها وبراءتها ، فعاش معها في
أمان وطأنينة ، وأنس عظيم ، وراحة تامة
شجاعتها - كانت على جانب عظيم من الشجاعة والإقدام ، فقد

حضرت واقعة الجمل بنفسها، وكانت تحض الرجال وتشجعهم على الحرب واقعة الجمل - وهي أن عائشة رضى الله عنها خرجت من المدينة إلى مكة وسيدنا عثمان رضى الله عنه محصور، ثم رجعت من مكة تريد المدينة، فلقيا في الطريق (عبيد بن أبى سالمه) أحد أولاد خالها فقاتل له: ماوراءك؟ قال: قتل عثمان. قالت: فما صنع الناس بعده؟ قال: اجتمعوا وبايعوا علياً. قالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه

فلما رجعت إلى مكة ذهبت توالى الحجر الأسود، وجمعت الناس وخطبتهم خطبة بليغة مؤثرة أفهمتهم فيها قتل عثمان ظالماً، وحشتهم على طلب دمه، فأثرت هذه الخطبة في نفوس الكثيرين وتبعها عدد كبير من أهل البصرة حتى بلغ عدد جيشها ثلاثين ألف مقاتل من بينهم طلحة والزبير بن العوام

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قام وخطب في الناس وأعلمهم الحال وقال: إنها فتنة، وسأمسك الأمر ما استمسك بيدي، وسار اليهم في عشرة آلاف، والتقى الجمعان بظاهر البصرة في مكان يسمى (الخرية) وجرت خطوط وحروب وانتهت بهزيمة جيش عائشة وقتل طلحة وابن العوام رضى الله عنهما

وكانت السيدة عائشة على جمل في هودج تراقب حركة القتال ،
وقد ترمى جندها على الموت ، وسميت هذه الواقعة (بواقعة الجمل)

وكان خاتمة القتال سقوط الجمل بما غشيه من النبال، وبقيت السيدة
عائشة في مخفرها حتى المساء، وكان أخوها (محمد بن أبي بكر) من أصحاب
على كرم الله وجهه ، وأمره أن يمضي الى أخته وينظرها هل هي سليمة
أم لا ؟ ثم أدخلها ليلاً الى البصرة في دار (عبد الله بن خلف) وظلت
هناك حتى أول شهر رجب بأمر الإمام على ، وأحسن على كرم الله
وجهه وفادتها غاية الإحسان ، وجهازها بكل ما ينبغي ، وأذن لها بالرجوع
واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات لأجل
مؤانستها في الطريق وسيرها صحبة أخيها محمد بن أبي بكر مكرمة، وقد
شيّعها ولدا الإمام على : الحسن والحسين رضي الله عنهما

فلما كان يوم رحيلها حضر الإمام وحضر الناس فقالت عائشة رضي
الله عنها :

يا بني لا يعتب بعض على بعض ، انه والله ما كان بيني وبين على في
القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأنه على معتبتي لمن الأخيار
وقال على كرم الله وجهه : والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وأنها
لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة

ثم سارت وتبعها الامام أميالا ، وتوجهت إلى مكة ، وأقامت بها أيام الحج وانصرفت إلى المدينة

وفاتها - انطوت صفحة حياتها الخالدة في العام الثامن والخمسين من الهجرة حيث نزل بها قضاء الله الذي لامر له وكانت وصيتها عندما وآفاها القدر المحتوم أن تدفن (بالبيع)

توفيت عائشة رضى الله عنها إلى رحمة ربها في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان المكرم ، ودفنت في تلك الليلة (بالبيع) كما أوصت ومشى جميع أهل المدينة في جنازتها وصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه

أما الذين نزلوا قبرها فهم : عبد الله ، وعروة ، ولدا الزبير ، والقاسم وعبد الله ، ولدا محمد بن أبي بكر ، وعبد الله بن عبد الرحمن

ماتت السيدة عائشة ، السيدة الفاضلة ، رضى الله عنها عن خدمات جليلة ، وحسنات شهيرة ، حبيبتها إلى الأمة الإسلامية فتركت من بعدها ذكرى خالدة ، وسمعة طيبة

فالسalam عليها يوم ماتت ، ويوم تبعث حيةً وأرجو الله أن يوفق نساءنا المسلمات للعمل بسيرتها ، واتباع سنتها

٤ - زينب بنت جحش

زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين

زينب بنت جحش بن رئاب ، تكنى أم الحكيم ، وأما (أميمة)
بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قديمة
الإسلام ، ومن المهاجرات مع الرسول ، وكانت امرأة جميلة فخطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على (زيد بن حارثة) فقالت : يا رسول
الله لا أرضاه لنفسى وأنا أيم قریش

قال : فإني قد رضيتك لك ، فتزوجها ابن حارثة ولم يلبث معها قليلاً

حتى طلقها لكبريائها وعظمتها

عن أنس رضى الله عنه قال : جاء زيد بن حارثة يشكو زينب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أمسك
عليك زوجك واتق الله) فنزلت الآية : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾

زواجها بالنبي - لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب واذكرها لى ، فلما قال ذلك
عظمت فى نفسى ، فذهبت إليها ، وجعلت ظهرى إلى الباب ، وقلت :

يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك . فقالت : ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل . فقامت الى مسجد لها فأنزل الله عز وجل :

﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهْهَا ۖ الْآيَةُ ﴾

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن وكان عمرها حين تزوجها ٣٥ سنة

وروى : أنه لما دخل بها سنة ٥ للهجرة قال لها : ما اسمك ؟ قالت : برة . فسماها رسول الله (زينب) وقال : لاتزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم والفاجر

وروى : أنه لما تزوجها تكلم في ذلك المنافقون فقالوا : حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه . فأنزل الله عز وجل

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ ﴾ الآية سورة الأحزاب

وقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾

فمن ثم دعى (زيد بن حارثة) وكان يدعى (زيد بن محمد) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلاً

فخرها على أزواج النبي - عن أنس رضى الله عنه قال : لما
نزلت الآية . (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) كانت زينب
تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أبأؤكن ،
وزوجنى الله من فوق سبع سموات ؛ وأولم عليها بخبز ولحم
وعن أنس قال : ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة
من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب
فقال له ثابت : ما أولم ؟ قال : أطعمهم خبزاً ولحماً

مناقبها - كانت زينب بنت جحش قصيرة جميلة ، صنّاعة اليد ،
تدبغ وتخز ، صوامة قوامه ، تشتغل وتتصدق من شغل يدها في سبيل
الله . قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً» . قالت : فكان يتناولن أيتهن أطول
يداً : قالت : وكان أطولنا يداً زينب ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق
وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأزواجه : «أولكن تتبعين أطولكن يداً» . قالت عائشة رضى الله عنها :
فكنا إذا اجتمعنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في
الحائط تتناول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش
رضى الله عنها ، فكانت امرأة قصيرة ، ولم تكن أطولنا ، فعرفت أن النبي

صلى الله عليه وسلم أراد بطول اليد الصدقة ، وكانت امرأة صناعاً ، وكانت تعمل بيدها وتتصدق في سبيل الله

وفاتها - توفيت سنة ٢٠ للهجرة في خلافة عمر ، وفي هذا العام افتتحت مصر ، وقيل : توفيت سنة إحدى وعشرين وفيها فتحت الاسكندرية وماتت رضى الله عنها وعمرها ثلاث وخمسون سنة . ولما توفيت قالت عائشة : يرحم الله زينب بنت جحش لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله عز وجل زوجها بنبيه ، ونطق به القرآن ، وأن الرسول قال لنا ونحن حوله : «أسرعن لحوقاً بي أطولكن يداً» فبشرها بسرعة لحوقها به وهى زوجته في الجنة ، وذلك لأنها أول من توفيت من نسائه بعده ، وقال لعمر بن الخطاب : إن زينب أواهة خاشعة متصدعة

هـ - السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ

هي أكبر أولاده، ولدت وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة وأُمها (خديجة بنت خويلد بن أسد) وكان أبوها يحبها وتزوجت ابن خالتها أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى قبل النبوة . وكانت تحب زوجها، وأسلمت وهاجرت مع أبيها وأبي العاص أن يسلم، ففرق الإسلام بينهما ؛ إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقدر أن يفرق بينهما بمكة لعدم قوة الإسلام بها وقتئذ ولم يفرق بينهما من أول البعثة ؛ لأن تحريم زواج المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة

ولما أسر أبو العاص في وقعة بدر وكان مع الكفار أرسلت زينب في فدائه الربيع بمال دفعته إليه، من ذلك قلادة لها كانت أمها خديجة قد أدخلتها بها على أبي العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا »
فقالوا : نعم

وكان أبو العاص مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مصافياً وكان قد أئبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها ، فشكر له صنيعه

ولما أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسر شرط عليه أن يرسل زينب إلى المدينة، فعاد إلى مكة وأرسلها إلى المدينة، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حدثني فصدقني، ووعدني فوفني ولم تنزل زينب بالمدينة، وأبو العاص بمكة، على شركه، فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم، فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم (زيد بن حارثة) فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الأموال، وأسروا أناساً، فهرب أبو العاص بن الربيع، ثم أتى المدينة ليلاً فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صاحبت زينب: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال: هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم قال: والذي نفسي بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم. وقال يجير على المسلمين أديانهم، ثم دخل على ابنته فقال: أكرمي مثواه، ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له: قالت: انه قد جاء في طلب ماله. فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية وقال: ان هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً وهو ما أفاء الله عليكم به، وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فان أيتم فأنتم أحق

فقالوا : بل نرده عليه ، فردوا عليه ماله أجمع ، فعاد إلى مكة ،
وأدى إلى الناس أموالهم ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، ثم قدم إلى المدينة
ولما أسلم أبو العاص رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب
بمهر جديد ، وولدت علياً وأمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أمامة ، وهي التي كان
يحملها في الصلاة على عاتقه ، فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع رأسه من السجود
أعادها

وقد توفيت زينب بالمدينة في السنة الثامنة للهجرة ، ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قبرها ، وهو مهموم محزون ، فلما خرج سرى عنه
وقد توفي بعدها زوجها

وقيل : إنها لما ماتت زينب قال النبي صلى الله عليه وسلم : أغسلها وتراً ،
ثلاثاً أو خمساً واجعلي في الخامس كافوراً أو شيئاً من الكافور

٦ - السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدة النساء

نسبها - السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من أشرف نساء قريش نسباً، وأطهرهن حسباً، وأنقاهن سيرةً، وأشدهن غيرَةً على الإسلام مولدها - ولدت فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم من أمنا السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها قبل ما تبني الكعبة بخمس سنين، والنبي صلوات الله عليه ابن خمس وثلاثين سنة، أي قبل هجرته المباركة بسبعة عشر عاماً، وكانت أصغر بناته وأحبهن إليه كانت سيدة النساء فاطمة مباركة ذات خلق حسن وخلق أحسن تربت تربية عالية في دار النبوة، فنشأت نشأةً سالحة، وأنبتها الله نباتاً حسناً (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فكانت خير النساء وسميت فاطمة؛ لأن الله فطمها وحفظها من النار

زواجها - تزوجت السيدة فاطمة الزهراء من الإمام علي (ابن عم النبي) كرم الله وجهه في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة، وبنى بها في ذي الحجة من السنة المذكورة

ولقد كانت سيدة النساء وقتئذ في أزهى أوقات الحياة في التاسعة عشرة من عمرها ، أما الإمام على فقد كان يبلغ الحادية والعشرين . كلاهما شخصيتان بارزتان ، يحيط بهما جلال الإيمان ونور الهدى ، متكافئان متعادلان من كل الوجوه ، مناسب أحدهما للآخر كل المناسبة ، كلاهما على الفكر ، رقيق الحس ، حميد الخلق ، صبيح الوجه ، فكلاهما زوجان متصفان بالمعالي ، مشهوران بالمحامد ، فهما خيار من خيار بدأت حياتهما المشتركة التي امتزجت فيها الفضيلة بالسكال ، والجلال بالجمال ، على هذا الوجه من الصفاء والوفاء والإخلاص

حضر الإمام على ذات يوم من أيام السنة الثانية للهجرة الى دار النبوة بنفسه ، وبعد أن دخل الدار سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وسكت ، فسأله الرسول ماذا يطلب ؟ فرد عليه مجيباً بأنه حضر ليطلب كريمته السيدة فاطمة . فقال له الرسول : مرحباً وأهلاً ، ولم يزد على ذلك بل ظل ساكناً بعدها ، مما اضطر علياً إلى العودة حائراً مدهوشاً

لم يستطع الإمام على أن يميز وجه الحقيقة من رد الرسول ، فسأل بعضاً من الأنصار ، فبشروه وطيبوا خاطره ، وأفهموه بأن في هذا الرد ما يشعر بالقبول والإيجاب ، ففرح الإمام واعتبط بذلك ، وبعد قيام الإمام على طلب الرسول صلوات الله عليه كريمته السيدة فاطمة وأخبرها

بهذا الأمر، وسألها رأيها فيه ، فلم تجبه ؛ بل أطرقت ساكتة ، فعد الرسول سكوتها علامة الإيجاب والرضى

فقرر اتمام عقد الزواج ، ثم أرسل يطلب علياً كرم الله وجهه وسأله هل عنده من شيء ؟ فأجابه : أنه لا يملك سوى فرسه ودرعه ، فأمره ببيع الدرع لتجهيز السيدة فاطمة بتمنيها

هرع على إلى السوق فباع الدرع إلى عثمان بن عفان بأربعمائة وسبعين درهماً ، وعاد بالثمن معقوداً في طرف ثوبه ووضع أمام الرسول وهو يقول : هاهو بدل الدرع يا رسول الله

فقبض الرسول بعض الدراهم منها ، وناولها بلالاً ليشتري بعض الطيب والروائح ويسلم الباقي إلى (أم سلمة) لتشتري الجواز

وبعد أن أحضرت أم سلمة الجواز دعا الرسول صلى الله عليه وسلم جمعاً غفيراً من الأنصار ثم خطبهم خطبة بليغة وهي :

الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المهروب اليه من عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه : وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمرأً مفترضاً ، وحكماً عادلاً ، وخيراً جامعاً ، وشج به الأرحام ، وألزمها الأثام . فقال عز وجل : «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان

ربك قديراً» وأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه ، وقضاؤه يجرى إلى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ، يحو الله ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب ثم أن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي ، وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي ، علي أر بعائنة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة ، والفريضة الواجبة

ثم دعا لهما عقب ذلك بحسن المعاشرة ، وبالذرية الصالحة ، وعند ما تم عقد الزواج على هذا الوجه البسيط أحضر الرسول للحاضرين من الأنصار وعاء فيه بعض التمر وقدمه إليهم بقوله : تحافظوا

هكذا تم زفاف سيدة النساء ، وابنة فخر الكائنات بلا ضجيج ولا ضوضاء ، ولكنه بالسرور الذي ملأ القلوب بالهناء والصفاء

وبعد أن تفرق المدعوون طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة وأمرها بأن تذهب بكرمته الى دار علي ، وبأن تخبرهما أنه آت إليهما عن قريب ، فنفذت أمره وسارت بسيدة النساء الى دار زوجها ، أما الرسول فقد صلى صلاة العشاء ، ويم عقب الصلاة دار علي وفي يده قرابة من الجلد تستعمل لسقى الماء ، وعند وصوله دار صهره قرأ عليها سورتي المعوذتين ، وبعضاً من الأدعية ، وأمرها بأن يشربا ويتوضآ من الإيناء ، ثم أخذ قليلاً منه ونثره على رأسيهما ، وعندما أراد مفارقتهما وقد همَّ بالانصراف كانت فاطمة رضى الله عنها تبكي فخطبها بما معناه

« أى بنى قد تركتك وديعة عند رجل إيمانه أقوى من إيمان أى
إنسان آخر ، وعلمه أكثر من علم الجميع ، إنه أفضل قومنا أخلاقاً ،
وأعلاهم نفساً »

على هذا الوجه تم عقد الشركة القلبية بين سيدة النساء فاطمة
الزهراء والإمام على كرم الله وجهه

أحب الإمام على زوجته سيدة النساء، وعاشا عيشة راضية، وورقت
منه خمسة أولاد، ثلاثة ذكور : وهم الحسن والحسين ومُحسن، وبنتان :
أم كلثوم وزينب ، وقد مات مُحسن صغيراً

مناقبها

كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها ذات عقل ودراية ، عالية
النفس ، تجيد الشعر ، وتعرف مسائل الفقه والشريعة ، ولها إلمام بالتاريخ
ولم يأخذها الغرور يوماً لعلو منزلتها فى الإسلام

وكانت سلسلة القياد ، حلوة اللسان ، تحب معونة الفقراء كزوجها على
روى عنها أحاديث نبوية كثيرة ، ونظمت قصائد ذات أبيات
عامرة ، وأظهرت دراية ومهارة فى كثير من المعضلات

كانت السيدة فاطمة تشابه أباه فى كلامها ، وتحاكيه صلى الله عليه
وسلم فى مشيها ، محاكاة تامة تثير دهشة الناس

أما محبتها لوالدها فخر الكائنات ، فكانت محبة خارقة للعادة من أعماق القلب والروح

وكانت محبوبة من أهلها يحبها الجميع ، وقد تركت ذكريات حسنة في قلب كل إنسان عرفها أثناء العشرة السنوات التي مضت من يوم زواجها حتى ساعة وفاتها

وكان الإمام علي ينفذ لها كل طلب ويعمل بكل كلمة تقوها

وكان أولادها يطيعونها ويحترمونها في كل حين

وكانت تحب أولادها وتعتنى بشأنهم ، وكانت في صلاتها وعبادتها ومبراتها وخيراتها من أكثر السيدات أنساً في محفل ربات الخدور

وقد قضت حياتها السعيدة حتى السنة الحادية عشرة من الهجرة

النبوية المباركة وهي تجبر القلوب الكسيرة ، وتعين المحتاجين ، وتغيث

الملهوفين ، وقد ظلت هذه الحياة السعيدة على هذه الوتيرة حتى السنة

المذكورة التي انتقل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ، الى

الرفيق الأعلى ، فتناثرت أوراق تلك السعادة ، وأظلم قلبها ، وهكذا

الدهر إذا صفا يوماً ففي غد ينقلب

أقبلت ذات مرة تزور الرسول صلوات الله عليه وكان معه السيدة

عائشة فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثاً فبكت،

ثم أسرَّ لها حديثاً آخر فضحكت ، فقالت السيدة عائشة : ما رأيت
كالיום فرحاً أقرب من حزن . فسألتها عما قال ؟ فقالت : ما كنت
لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّه ، فلما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألتها فأخبرتها أنه قال : إن جبريل كان يعارضني
بالقرآن في كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، وما أراه إلّا قد
حضر أجلى ، وأنتك أول أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك .
فبكيت : فقال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة ؟ فضحكت
لذلك . ولم تضحك فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها قط ، ولقد
حزنت الزهراء حزناً شديداً لوفاته صلى الله عليه وسلم الى أن توفاه الله
فلم تظهر عليها اماراة من السرور طول تلك المدة . ولما زارت قبر
أبيها عليه الصلاة والسلام بعد وفاته بأيام أخذت بيدها قبضة من تراب
القبر فجعلتها على عينها ووجهها وأخذت تبكي وتقول :

« ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا »
« صُبت على مصائب لو أنها صُبت على الأيام عدن لياليا »
وقد رثته بهذه المراثية :

« اغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران »
« والأرض من بعد النبي كثيبة أسفاً عليه كثيرة الأحزان »
« فليبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضر وكل يمان »

« يا خاتم الرسل المبارك صنوه صلى عليك منزل القرآن »
 فلم يسمعها إنسان حتى بكى معها ، وبعد أن أفاضت دموع العين بما في
 القلب من نيران الحزن عادت الى منزلها واجهة مطرقة حزينة
 روى : أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت
 جارية لها صدقة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت لها : امضي
 الى السوق بها ، وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فمن قبلها فأتيني به ، فضمت الجارية الى السوق وقالت : من يقبل
 صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رجل مغربي : أنا
 موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطته الصدقة
 وقالت له : أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : نعم
 فلما بلغ الباب سأله من أنت ؟ فقال لها أنا رجل مغربي
 فقالت له : من أي المغرب ؟ فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت :
 قال لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي حوارى ، وحوارى
 ذريتي البربر ، سيقتل الحسن ، والحسين ، ويفر أولادهما الى المغرب ، فلا
 يأويهما إلا البربر فيأشؤم من فعل بهم ذلك ، وطوبى لمن أكرهم
 وأعزهم »

وفاتها - توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر

رمضان سنة إحدى عشر للهجرة، وهي بنت ثمان وعشرين سنة، ودفنت
بالبقيع ليلاً، وصلى عليها عليّ عليه السلام

وقيل : صلى عليها ونزل في قبرها هو والفضل بن العباس ، وقيل :
لبثت فاطمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشهر ، وقال عروة
ابن الزبير وعائشة : لبثت ستة أشهر، وهو الصحيح

وروى : أن علياً عليه السلام زوجها لما ماتت فاطمة وفرغ من
جهازها ومن دفنها رجع الى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعاً
شديداً ثم أخذ يقول :

« أرى علل الدنيا على كثيرة

وصاحبها حتى المات عليل »

« لسكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذي دون الفراق قليل »

« وإن افتقادی فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل »

٧ - السيدة زينب بنت الإمام علي

كرم الله وجهه

نسبها - السيدة زينب هي بنت الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها سيدة نساء العالمين (فاطمة الزهراء) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

مولدها - ولدت رضى الله عنها في شعبان في السنة الخامسة للهجرة الموافقة لسنة ٦٢٦ م وعاشت مع جدها النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنوات وهي شقيقة الحسن والحسين عليهما السلام

زواجها - تزوجت من ابن عمها (عبد الله بن جعفر الطيار) ذى الهجرتين، وذى الجناحين، وكنيته أبو عبد الله، وأبو المساكين الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشبهت خلقى وخلقى

وكان آية في الحلم والجود والكرم، توفي سنة ٨٠ من الهجرة بالمدينة وكان أميرها إذ ذاك (أبان بن عثمان لعبد الملك بن مروان) فحضر غسله وكفنه، وما فارقه حتى دفنه بالبقيع ، وإن دموعه لتسيل على خديه وهو يقول : كنت والله خيراً لا شرَّ فيك ، وكنت والله شريفاً واصلاً براً

أولادها - رزقت منه علياً وعوناً، ويدعى بالأكبر، وعباساً ومحمداً وأم كلثوم

مناقبها وأخبارها - كانت السيدة زينب رضى الله عنها امرأة عاقلة
لبدية فصيحة ، وكانت مع أخيها الحسين رضى الله عنه حين قتل بكر بلا ،
وقيل : أنها لما قُتل أخرجت رأسها من الحباء وأنشدت رافعة صوتها :
« ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم ؟ »
« بعترقى وبأهلى بعد فرقتكم منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم »
« ما كان هذا جزأى إذ نصحت لكم أن تحلفوني بسوء فى ذوى رحى »
وقيل : أن هذه الأبيات لزینب ابنة عقيل بن أبى طالب كما جاء
فى كتاب (ابن الأثير) وهو الصحيح

ولما دخلت الكوفة بعد مقتل الحسين ، وجاءت نساءها يومئذ قياماً
يندبن ويلطمن متمسكات الجيوب ، وسمعت على بن الحسين يقول :
يا أهل الكوفة إنكم تكون علينا فمن قتلنا غيركم ؟ فأومات زينب الى
الناس أن اسكتوا ، فسكتت الأنفاس ، وهدأت الأجراس ،
وقامت خطيبة فيهم وقالت : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد المرسلين

أما بعد ، يا أهل الكوفة ، أتبكون؟ فلا سكنت العبرة ، ولا هدأت
الرنة ، إنما مثلكم مثل التى تقضت غزلها من بعد قوة ، انكاثاً تتخذون
أيمانكم دخلاً بينكم ، ألا ساء ما ترزون ، أى والله فابكوا كثيراً ،
واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبت بعارها وشنارها ، فن ترخصوها بغسل

أبدًا ، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومدار
حجبتكم ، ومنار محجبتكم ، وهو سيد شباب أهل الجنة ؟ ويلكم ياهل
الكوفة ، ألا ساء ماسولت لكم أنفسكم ، أن سخط الله عليكم ، وفي
العذاب أنتم خالدون ، أتدرون أى كبد فرقيم ؟ وأى دم له سفكتكم ؟
وأى كريمة له أبرزتم ؟ لقد جثتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن
منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا ، ياهل الكوفة لعذاب الآخرة
أخزى ، وأنتم لاتنصرون ، كلا إن ربى وربكم بالمرصاد

فما أتمت حديثها حتى صرخ الناس بالبكاء ، وذهلوا وسقط في أيديهم
من هول تلك المحنة الدهاء ، ثم أمر الطاغية (ابن زياد) قائد حزب
الشیطان ، بتجهيز الأسارى وترحيلهم إلى الشام مقر أميره ، فجهزوا
ولما بلغوا الشام أخرجت النساء وأدخلن دار (يزيد) وكانت معهن
ابنة للإمام الحسين تدعى (فاطمة) ولما دخلت السيدة زينب دمشق
خيرها (اليزيد) بين الإقامة بدمشق على الرحب والسعة ، وبين التوجه
الى حيث تشاء من البلاد ، فاختارت الرجوع إلى المدينة المنورة ، فجهزها
ومن معها إلى المدينة ، ثم أن والى المدينة من قبل يزيد وهو (عمرو بن
سعيد الأشدق) اشتمكى من إقامة السيدة زينب بالمدينة ، فكتب
بذلك إلى (يزيد) وأعلمه بأن وجودها بين أهل المدينة مهيج للخواطر

والقلوب لما حصل لآل البيت ، وأنها فصيحة عاقلة لبيدة وقد عزمت
هى ومن معها على القيام للأخذ بثار الحسين
فلما وصل الكتاب إلى (يزيد) وعلم بذلك أمر بتفريقهم فى الأقطار
والأمصار ، فاختارت السيدة زينب الإقامة بمصر طلباً لراحتها ،
واختار بعض أهل البيت بلاد الشام

قدومها مصر ووفاتها بها

فعند ذلك جهزهم (ابن الأشدق) فخرجت السيدة زينب هى ومن
معه من أهل البيت ، وفيهم سكينه بنت الحسين وأختها فاطمة ، فلما
اتصل خبر ذلك الى والى مصر إذ ذاك وهو (مسلمة بن مخلد الأنصارى)
توجه هو وجماعة من أصحابه ، وفى صحبتهم جملة من أعيان مصر ووجهائها
وعلمائها إلى لقاءها ، فتلقوها فى قرية بين طريق مصر والشام شرق
بليس (عرفت أخيراً بقرية العباسية نسبة للعباسية بنت أحمد بن
طولون) ولم يبق بالمدينة من جماعتهم إلا زين العابدين

ووافق دخول السيدة إلى مصر (أول شعبان سنة ٦١ من الهجرة)
وكان قد مضى على الموقعة نحو ستة أشهر وأياماً ، فأنزلها (مسلمة بن مخلد)
هى ومن معها فى داره (بالحمراء القصوى) ترويحاً للنفس إذ كانت تشكو

المرض ، فأقامت بها ١١ شهراً ونحو ١٥ يوماً من شعبان سنة ٦١ الى رجب سنة ٦٢ هجرية

وفاتها - ولما ثقل عليها المرض توفيت رضى الله عنها يوم الأحد ليلة الاثنين لأربعة عشر يوماً مضت من شهر رجب من السنة المذكورة . وبعد تجهيزها وشهود جنازتها دفنت بمحل سكنها على العادة في ذلك . أسكنها الله فسيح جناته (فجهنمها الشريف بمصر كما أثبتته العبيد الى النسابة أمير المدينة في رسالته) ^(١) في المكان الموجودة فيه الآن

ثم بعد وفاتها رجع من كان معها من أقاربها الى المدينة ، وفيهم السيدة سكينة وفاطمة ، ثم بعد مرور عام على وفاتها ، وفي نفس اليوم الذي توفيت فيه اجتمع أهل مصر قاطبة وفيهم الفقهاء والقراء وغير ذلك ، وأقاموا لها موسماً عظيماً برسم الذكرى على ماجرت به العادة ، ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم الى وقتنا هذا من يوم وفاتها للآن . وهذا الموسم هو المعبر عنه (بالمولد الزينبي) الذي يبتدىء من أول رجب من كل سنة وينتهى ليلة النصف منه وهي ليلة الختام

(١) انظر كتاب السيدة زينب للاستاذ حسن افندى قاسم المؤرخ العظيم المطبوع سنة ١٣٥١ بدار الطباعة المنيرية بالأزهر

السيدة زينب المثل الأعلى للحق والعدل

السيدة زينب رضى الله عنها مواقف مشهورة بين أمراء الظلم تدل على ميلها وحبها للحق والعدل، بينما كانت مواقف الظالمة أمثلة تدل على العسف والجور

فكانت تجاوب القوم بكل ثبات وشجاعة وإقدام، الأمر الذى لم يقم به أحد من البشر خصوصاً من النساء

وذلك أنه لما أحيط بها (بعد مقتل أخيها الحسين رضى الله عنهما) وهى فى هذا الموقف الرهيب ناداها منادى الحق ، فهتفت باسمه ، وأجابت نداءه ، وقالت تخاطب (يزيد) :

صدق الله يا يزيد ، « ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون » أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هواناً على الله وأن بك عليه كرامة ؟

وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك ، فشمتخت بأفئك ، ونظرت فى عطفيك جذلان فرحاً ، حين رأيت الدنيا مستوثقة لك ، والأمرور متسقة عليك

إِنَّ اللَّهَ إِنْ أَمْهَلَكَ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ تُمْلَى لَهُمْ﴾

خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لَيْسَ دَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠٠﴾
 أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك بناتك وامائك وسوقك بنات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأسارى ؟ قد هتكت ستورهن ،
 وأصحلت أصواتهن ، مكتئبات تجرى بهن الأباعر ، وتحذو بهن الأعادى
 من بلد الى بلد ، لا يراقبن ولا يؤوين ، يتشوفهن القريب والبعيد ،
 ليس معهن قريب من رجالهن ، وكيف يستبطأ فى بغضتنا من نظر
 الينا بالشوق والشنان والإحزن والأضغان ؟ الى أن قالت :

أيزيد ، والله ما فريت إلّا فى جلدك ، ولا حزرت إلّا فى لحمك ، سترد
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك ، ولتجدن عترته ولحمته من
 حوله فى حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم من الشعث

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

وستعلم أنت ومن بؤاك ومكنك من رقاب المؤمنين ، إذا كان الحكم
 ربنا ، والخصم جدنا ، وجوارحك شاهدة عليك (فبئس للظالمين بدلا)
 هنالك تعلم (أينا شر مكانًا وأضعف جندًا) مع إني والله أستصغر
 قدرك ، وأستعظم تقريعتك ؛ غير أن العيون عبرى ، والصدور حرى ،
 وما يجزى ذلك أو يغنى ، وقد قتل أخى الحسين . ألا ان حزب الشيطان

يقر بنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله عوناً على انتهاك محارم الله ،
فهذه الأيدي تنطف (تقطر) من دماثنا ، وهذه الأفواه تتحلب من
لحومنا ، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات ، فلئن اتخذتنا في
هذه الحياة مغماً ، لتجدنا عليك مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك
تستصرخ يابن مرجانة ويستصرخ بك ، وتعاوى وأتباعك عند
الميزان . وقد وجدت أفضل زاد تزودت به قتل ذرية محمد صلى الله
عليه وسلم ، فوالله ما اتقيت غير الله ، وما شكوت إلا الله فكذلك
واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا يرحض (لا يغسل) عنك
عار ما أتيت الينا أبداً

فما أبلغ هذا الكلام ! وما أحسن تأثيره في نفوس الكرام ! وما
أشد وقعته في قلوب الكفرة اللثام الذين قتلوا الحسين رضى الله عنه
ظالماً وعدواناً جزاهم الله بما يستحقون ، وجزى السيدة زينب خير
الجزاء وأسكنها دار الخلد والبقاء

٨ - السيدة أم كلثوم رضي الله عنها

نسبها - هي ابنة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأمها السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مولدها - ولدت قبل وفاة النبي

زواجها بعمر - خطبها عمر بن الخطاب إلى أبيها علي ، فقال : إنها صغيرة . فقال عمر : زوجنيها يا أبا الحسن ، فاني أرصد من كرامتها ما لم يرصده أحد . فقال له علي : أنا أبعثها إليك فان رضىتها فقد زوجتكها ؛ فبعثها اليه ببرد وقال لها : قولي له هذا البرد الذي قلت لك عليه

فقالت ذلك لعمر ، فقال لها : قولي له : قد رضىت ، رضى الله عنك ، ووضع يده عليها ، فقالت له : أتفعل هذا ؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ، ثم جاءت أباهما فأخبرته ، وقالت له : بعثتني الى شيخ سوء . قال : يا بنية إنه زوجك

فجاء عمر ، فجلس الى المهاجرين في الروضة (وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون) فقال : رفثوني (هنتوني بالرفاء) فقالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوجت أم كلثوم بنت علي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة

إلا سبى ونسبى وصهرى » وكان لى به عليه الصلاة والسلام النسب
والسبب فأردت أن أجمع اليه الصهر فرفؤوه، فتزوجها على مهر أربعين
ألفاً ، فولدت له زيدا ورقية

زواجها بعون بن جعفر

قيل : أنه لما قتل عنها عمر تزوجها (عون بن جعفر) وذلك أنه
دخل عليها الحسن والحسين أخوها فقلا لها : انك ممن قد عرفت
سيدة نساء المسلمين ، و بنت سيدتهن ، وانك والله ان أمكنت علياً
من رمتك لينكحك بعض أيتامه ، ولئن أردت أن تصيبى بنفسك
مألاً عظيماً لاتصيبينه ، فوالله مالبثا حتى طلع على يتيمى على عصا فجلس
وحمد الله وأثنى عليه ، وذكر منزلتهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال :

قد عرقتكم منزلتكم عندى يا بنى فاطمة ، وآثرتكم على سائر ولدى
لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتكم منه ، قالوا : صدقت
رحمك الله ، فجزاك الله عنا خيراً

فقال : أى بنية إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك وأنا أحب
أن تجعليه بيدي

فقالت : أى أبت إنى امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب

أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا ، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي . فقال لها : لا ، يا بنية ، ما هذا من رأيك ، وما هو إلا رأي هذين ، ثم قام فقال : والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعل ؟ فأخذاً بشيابه فقالا : اجلس يا أبانا فوالله ما على هجرتك من صبر ، فقالا لها : اجعلي أمرك بيده . فقالت : قد فعلت ، قال : فإني قد زوجتك من (عون بن جعفر) وأنه لغلام ، وبعث لها بأربعة آلاف درهم ، وأدخلها عليه وبقيت معه حتى مات عنها قتيلاً في وقعة كربلاء ، وهي مع أخيها الحسين ، ورجعت مع السبايا من العراق إلى الشام ثم إلى المدينة

وفاتها

وتوفيت في المدينة وابنها زيد في وقت واحد ، وكان زيد قد أصيب في حرب كانت بين بني عدى خرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة فشجّه وصرعه ، فعاش أياماً ثم مات هو وأمه (أم كلثوم) وصلى عليهما عبد الله بن عمر .

٩ - السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين

نسبها - هي السيدة فاطمة النبوية رضوان الله عليها ، التي سطعت في الكون أنوارها ، وذاعت كراماتها ، وعمت بركاها ، ولا عجب فهي فرع من شجرة بيت النبوة المحمدية ، فهي بنت الحسين رضي الله عنه ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأما (أم اسحق التيمية) بنت طلحة بن عبيد الله

زواجها - ورد في الأغاني : أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جاء خاطباً من عمه الحسين ، فقال له : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معي ، فذهب معه حتى أدخله منزله فخيرته في إحدى ابنتيه (فاطمة وسكينة) فاختر فاطمة فزوجه إياها ، وكانت رضوان الله عليها تشبه الحور العين لفرط جمالها

وورد في رواية أخرى : أن الحسين لما خير ابن أخيه الحسن في إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة عند ما جاءه خاطباً خجل الحسن حياءً من عمه ، فقال له الحسين : قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ، ثم تزوجت من بعد وفاة زوجها الحسن عبد الله بن عمرو

أولادها - ولدت من ابن عمها الحسن (عبد الله) ويلقب بالحض
وسمي بالحض لمكانه من الحسين ، وكان يشبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان شيخ بنى هاشم . وقد سُئِلَ مرة : لِمَ صرتم أفضل
الناس ؟ فقال : لأن الناس يمتنون أن يكونوا منا ولا تمنى أن نكون
من أحد ، وكان متصفاً بالشجاعة والورع ، ومن كلامه :

« بيض حرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام »

« يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الحنا الإسلام »

وولدت أيضاً « المتنى » سيدنا إبراهيم القمر ، وسيدنا الحسن الثالث

وكل منهم له عقب

وولدت أيضاً لعبد الله بن عمرو محمداً والقاسم رضوان الله عليهم

أجمعين

ولما توفي زوجها الحسن المتنى حزنت عليه حزناً شديداً وضربت
على قبره فسطاطاً ، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها : إذا أظلم الليل
فقوضوا هذا الفسطاط ، فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلاً يقول : هل
وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يؤسوا فاتقبلوا

عبادتها - كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها صوامة قوامة ، زاهدة

في الحياة الدنيا ، طارحة وراء ظهرها زخرف الحياة وزينتها
ومن كلامها رضى الله عنها : « والله ما نال أهل السفه بسفهم شيئاً

إلا وقد ناله أهل المروءات ، فاستتروا بحجبل ستر الله » وظلت عاكفة على عبادة ربها إلى أن توفيت رضوان الله عليها سنة عشر ومائة كما جاء في كتب التاريخ

كرمها - كانت السيدة فاطمة رضى الله عنها كريمة الأخلاق ، طاهرة الأعراق ، ومما يروى عن كرمها : أن اليزيد لما جهز آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين رضى الله تعالى عنه أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام فى خيل سيرها معهم إلى أن وصلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها السيدة سكينة : قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشئ ؟ فقالت السيدة سكينة رضى الله عنها ، والله مامعنا مانصله به إلا ما كان من هذا الحلى . فقالت لها السيدة فاطمة : إفعلى . فأتت له بسوارين ، ودملجين ، وبعثتا بهما إليه فردهما ، وأبى أخذهما وقال : لو كان ماصنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع (كفاية) ؛ ولكنى والله ما فعلته إلا لله ولقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم

أم اليتامى - وقد اشتهرت السيدة فاطمة رضى الله عنها عند الخاص والعام (بأم اليتامى) وهذا لحنانها وعطفها . وقد روى فى ذلك أنها تكفلت بتربية سبع بنات يتامى من أنصار الحسين قتل أبائهن فى واقعة كربلاء فعطفت عليهن وآوتهن ، وعند ما تشرفت أراضى مصر

بنزول آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها أتت بهن معها ولم تتركن ولم تفرط فيهن ، وعندما انتقلوا إلى الدار الآخرة دفنوا بجوار مسجد مسجدها - أنشأ مسجد السيدة فاطمة النبوية الكائن بالدرب الأحمر بعطفة النبوية المرحوم (عباس باشا الأول) وجعل فيه منبراً وستة أعمدة من الرخام ، ودكة للمقرئ ، وعمل ميضأة (حنفيات) من الرخام ومنارة وبابين أحدهما إلى (الحنفيات) والآخر إلى الضريح الشريف ، ولا يزال قائم الشعائر للآن

وكانت السيدة فاطمة رضى الله عنها فصيحة المنطق ، كريمة المعشر ، أديبة تنثر الدرر ، وتنطق بالحكم ، فمن قولها تنعى أباهما الحسين رضى الله عنه :

« نَعَقَ الغراب فقلت مَنْ نَنعاه وَيَحْكُ يا غراب »

« قال: الإمام، فقلت مَنْ قال : الموفق للصواب »

« قلت : الحسين ، فقال لى بمقال محزون أجاب »

« إن الحسين بكر بلا بين الأسنة والحراب »

« أبكى الحسين بعبرة ترضى الإله مع الثواب »

« ثم استقلَّ به الجنا حُ فلم يُطلق رَدَّ الجواب »

« فبكيت مما حلَّ بي بعد الرضى المستجاب »

١٠ - السيدة سكينة رضي الله عنها

نسبها - السيدة سكينة هي بنت سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأمها (الرباب) بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس الكلبي الذي كان نصرانياً ، وجاء إلى عمر بن الخطاب فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام من قضاة ، فتولى قبل أن يصلي صلاة ، وما أمسى حتى خطب له الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبد الله وسكينة

وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين رضي الله عنه فقالت : ما كنت لأتخذ حمماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما قتل الحسين رضي الله عنه رثته بأبيات سبق ذكرها في سيرة الحسين في الجزء الرابع من هذا الكتاب

مناقبها - وكانت السيدة سكينة سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء وأظرفهن ، وأحسنهن أخلاقاً ، وأعلاهن مقاماً ، وأوفرهن ذكاءً ، وعقلاً وأدباً ، فأحرزت قصب السبق في مضمار الأدب ، والتف حولها الشعراء والأدباء ، وكانت عفيفة ، تجالس العطاء من قريش ، وتجمع إليها الشعراء ، وكانت من أحسن الناس شعراً ، وكانت تصفف جمعتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت الجمعة تسمى (السكينية)

وهي من الخدق على جانب عظيم ، فها يؤثر عنها : أنها حضرت مأتما فيه بنت عثمان بن عفان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينه حتى إذا أذن المؤذن وقال : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقالت لها سكينه : هذا أبي أم أبوك ؟

فقالت بنت عثمان : لا أخز عليكم أبداً

وكان لها تأثير شديد في جميع أهل عصرها الذين كانوا يحذون حذوها في جميع ماتصنعه ، حتى أنها كانت تحتزع الأزياء فهي واضعة الطرة السكينية المنسوبة اليها المعروفة باسمها بين النساء

وشهرتها لم تكن قاصرة على الأزياء ؛ بل أنها اكتسبت الشهرة بما كانت عليه من الأدب العالي ، والمعارف الواسعة ، وحسن المحاضرة ، حتى أصبح منزلها كعبة لكل قاصد من الفقهاء والشعراء والعلماء ، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم

وكانت تستقبل الزائرين الذين كانوا يفدون على منزلها من جميع الأنحاء لمحاضرتها أو التماس صلاتها ، أو طلب مساعدتها

وكانت تزين المجلس بحسن أدبها ، ووفرة ذكائها ، والأسئلة العديدة التي كانت تطرحها على الأبناء والشعراء الذين كانوا يحسبون لها حسناً كبيراً ؛ لأنها كانت تقادة لا تخشى في الحق لومة لائم

أزواجها - تزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه فقتل عنها « بالطف » قبل أن يدخل بها

ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضى الله عنهما وأمهرها بألف ألف درهم، وحملها اليه على بن الحسين رضى الله عنهما، فأعطاه أربعين ألف دينار، وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول: ما البستها إياه إلا لتفضحه
ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له (قريباً)

ثم تزوجها الأصبع بن عبدالعزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها
ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل

وفاتها - توفيت السيدة سكينة رضى الله عنها بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة. وصلى عليها شعبة ابن نصاح المقرئ

وقيل : سنة ١١٧ بالمدينة وهو الأرجح . وقيل : بمصر، وأنها مدفونة (بالمرأغة) بقرب السيدة نفيسة رضى الله عنها كما جاء فى طبقات الشعراني والمناوى والله أعلم

١١ - السيدة رقيةؓ

نسبها

هي بنت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وأمها أم حبيب الصهباء التغلبية، أم ولد، كانت من سبي الذرية الذين أغار عليهم سيدنا خالد ابن الوليد (بعين النمر) فاشتراها سيدنا علي رضي الله عنه من سيدنا خالد واستحظى بها فأولدها عمراً ورقية المومي اليها

وهي مدفونة بمشهدها الموجود بتكيتها المعروفة (بتكية السيدة رقية)
ببصر، وهي بالجامع المعروف (بجامع شجرة الدر) وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة ، والمكان الذي فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه هذا البيت :

« بقعة شرفت بآل النبي وبينت الرضا على رقيه »

ويعمل لها مقرأة وحضرة كل أسبوع ومولد كل سنة ، وشعائر هذه التكية مقامة من أوقاف السيدة رقية إلى الآن .

١٢ - السيدة عائشة النبوية رضي الله عنها

بنت جعفر الصادق

نسبها - هي ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فأخوها موسى الكاظم وأُمها مُحمّدة

مناقبها - كانت رضي الله عنها من العابدات ، المجاهدات ، وكانت تقول : وعزتك وجلالك ، لئن أدخلني النار لآخذن توحيدى وأطوف به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعذبني

وفاتها - توفيت رضي الله عنها سنة ١٤٥ خمس وأربعين ومائة ودفنت في المسجد المعروف باسمها الآن بناحية (قراميدان) بمصر بباب قرافة مصر

وقبرها يزار ، وأهل مصر يعتقدون فيها ويتبركون بزيارتها ، ومسجدها مقام الشعائر الى الآن

١٣ - السيدة نفيسة رضي الله عنها

بنت سيدى حسن الأنور

نسبها - هى ابنة سيدى حسن الأنور ، بن السيد زيد الأبلج ،
ابن الحسن السبط ، بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأمها
(أم ولد)

مولدها - وكان مولدها بمكة المشرفة فى يوم الأربعاء الحادى عشر
من ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة ، ونشأت بالمدينة لولاية
والدها عاملا عليها من قبل المنصور

زواجها - لما بلغت رضى الله عنها من العمر خمس عشرة سنة
رغب الناس فى خطبتها لدينها وصلاحها ، وكان والدها يأبى تزويجها

وجاء السيد اسحق المؤتمن بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد
الباقر بن السيد على زين العابدين بن السيد أبى عبد الله الحسين السبط
ابن الإمام على وابن السيدة الزهراء البتول ابنة الرسول صلى الله عليه
وسلم وخطبها من أيها فلم يرد عليه جواباً ، فقام من عنده ودخل

الحجرة النبوية وقال بعد السلام : يا رسول الله إني خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد على جواباً ، وإني لم أخطبها إلا لخيرها ودينها وعبادتها ، ثم خرج من الحجرة فرأى والدها النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في المنام يقول له : يا حسن زوج نفيسة لاسحق المؤمن ففقد له عليها يوم الجمعة الخامس من رجب سنة إحدى وستين ومائة هجرية وكان عمرها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوماً

أولادها - ورزقت منه القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا

مناقبها - وكانت السيدة نفيسة من الصلاح والزهد على جانب عظيم ، تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وكانت لاتفارق حرم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية ، وكانت تبكي بكاءً كثيراً ، وتعلق بأستار الكعبة وتقول :

إلهي ، وسيدي ، ومولاي ، متعني ، وفرحني برضاك عني ، فلا سبب لي أتسبب به يحجبك عني

وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة

وقالت زينب بنت يحيى المتوج بالأنوار وهو أخو السيدة نفيسة : خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت لبيل ، ولا أفطرت بنهار فقلت لها :

ألا ترفقين بنفسك ؟ فقالت : كيف أرفق بنفسي وأما عي عقيات

لا يقطعهن إلا الفائزون
وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ، وكانت تقرأ القرآن وتبكي وتقول :
إلهي وسيدي ، يسر لي زيارة خليك إبراهيم عليه السلام ، فحجت
هي وزوجها اسحق المؤمن بن جعفر الصادق ، ثم زارت قبر خليل الرحمن
عليه السلام بيت المقدس

قدومها لمصر - ثم قدمت الى مصر مع زوجها ، وكان ذلك سنة
ثلاث وتسعين ومائة في شهر رمضان ، وكان لقدومها أمر عظيم فتلقاها
الرجال والنساء بالهوادج من العريش ونزلت أولاً عند كبير التجار
بمصر - وهو جمال الدين عبيد الله بن الجصاص - وكان من أصحاب
البرّ والمعروف ، فأقامت عنده شهوراً يأتي إليها الناس من سائر الآفاق
للتبرك ، ثم حوّلت إلى مكانها المدفونة فيه وهبه لها أمير مصر
(ابن الحكم)

وقد أقبل على زيارتها في الحياة وبعد الممات ، خلق كثير من العلماء
والخلفاء والأولياء وغيرهم ، وروى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه
لما دخل مصر حضر إليها وزارها وسمع عليها الحديث من وراء
حجاب ، ولذا كان يقال لها (نفيسة العلم) وكان في صحبته عبد الله
ابن عبد الحكم وقال لها : (ادعي لنا) أسألك الدعاء
وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو باق الى الآن

وقيل: انه لما توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته في دارها وصلت عليه ، وكانت في موضع مشهدها الحالى ، ولم تزل به الى أن توفيت

وقيل: ان الحنفى رضي الله عنه كان يقول عند زيارتها : السلام والتحية والإكرام ، من العلى الرحمن على نفيسة الطاهرة المطهرة، سلالة البررة ، وابنة علم العشرة، الإمام حيدرة ، السلام عليك يا ابنة الحسن المسموم ، أخى الإمام الحسين سيّد الشهداء المظلوم ، السلام عليك يا ابنة فاطمة الزهراء، وسلالة خديجة الكبرى ، رضى الله تبارك وتعالى عنك ، وعن جدك وأبيك، وحشرنا فى زمرة والديك وزائريك ، الخ .

وفاتها

توفيت رضى الله عنها بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنين فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة، ودفنت فى منزلها المعروف بخط درب السباع بمصر

ويقال : انها حفرت قبرها بيدها وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة
وقيل : انها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت فى حزبها الى قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةُ ﴾

ففاضت روحها مع قوله تعالى : الرحمة

ولما ماتت عزم زوجها على حملها الى المدينة ليدفنها هناك فسأله
المصريون بقاءها عندهم فأبقاها ، ودفنت في الموضع المعروف بها الآن
بين القاهرة ومصر القديمة ، رحما الله رحمة واسعة وألهمنا رشدها وتقواها
وقد رثاها أحد الفضلاء بالقصيدة الآتية التي جمعت تاريخ حياتها :

« يَأْمَنُ لَهُ فِي السَّكُونِ مِنْ حَاجَةٍ عَلَيْكَ بِالسَّيِّدَةِ الطَّاهِرَةِ »

« نَفْسِي وَالْمُصْطَفَى جَدَّهَا أَسْرَارَهَا بَيْنَ الْوَرَى ظَاهِرِهِ »

« فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لَهَا شَهْرَةٌ أَنْوَارَهَا سَاطِعَةٌ بَاهِرِهِ »

« كَمْ مِنْ كَرَامَاتٍ لَهَا قَدْ بَدَتْ وَكَمْ مَقَامَاتٍ لَهَا فَآخِرِهِ »

« يَا حَبِذَا سَيِّدَةً شَرَفَتْ بِهَا أَرْضِي مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ »

« بِنَفْسِهَا قَدْ حَفَرَتْ قَبْرَهَا حَالُ حَيَاتِهَا يَا لَهَا حَافِرِهِ »

« تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي لَحْذِهَا وَهِيَ لِمَنْ قَدْ زَارَهَا نَاضِرِهِ »

« حَجَّتْ ثَلَاثِينَ عَلَى رِجْلِهَا صَائِغَةً عَنْ أَكْلِهَا قَاصِرِهِ »

« كَانَتْ تَصَلِّي وَتَقُومُ الدُّجَى دَوْمًا عَلَى أَقْدَامِهَا سَاهِرِهِ »

« عابدة زاهدة جامعہ للخير في الدنيا وفي الآخرة »
 « في كل قطر قد سما ذكرها عالمة فائقة ماهرة »
 « والناس قد عاشوا بها في صفا عيش بأيام لها زاهرة »
 « والشافعي قد كان يأتي لها سعيًا إلى دار بها عامره »
 « يرجو بأن تدعو له دعوة فيا لها من دعوة وافره »
 « صلت عليه بعد موت وقد أوصى بها فهي له شاكره »
 « سبحان من أعلى لها قدرها لأنها بين الوري نادره »

سير بعض النساء الشهيرات

١ — أروى ابنة الحرث بن عبد المطلب بن هاشم

كانت فريدة زمانها ، و بليغة عصرها وأوانها ؛ إذا خطبت أعجزت ،
وإن تكلمت أوجزت ، ولا غرو فانها ابنة البلاغة ، ومعدن الفصاحة
والحصافة

ومما يؤثر عنها قيل : انها وفدت على معاوية بن أبي سفيان لما ولي
الخلافة وكانت عجوزاً كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً
يا خالة ، فكيف كنت بعدنا ؟

فقالت : يا ابن أخي ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك
الصحية ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير دين كان
منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأتعس الله منكم الجذود ، وأضرع منكم الخدود ،
ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا
صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، وتحتجون
بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا الأمر ،
فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون ، وكان على بن أبي طالب

رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايثنا الجنة ، وغايتكم النار
فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، واقصرى عن

قولك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك

فقالت له : وأنت يا ابن الباغية تتكلم

فقال مروان : كفى أيتها العجوز واقصرى لما جئت له

فقالت له : وأنت أيضاً يا ابن الزرقاء تتكلم

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا خالة ، هات حاجتك

فقالت : مالى اليك حاجة ، وخرجت عنه

وبعد خروجها التفت معاوية الى أصحابه وقال لهم : والله لئن كلها
كل من فى مجلسي لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر
بدون توقف ، وهكذا نساء بنى هاشم أصعب فى الكلام من رجال
غيرهن ، وأمر لها بجائزة تليق ب مقامها ، وبقيت مكرمة بين قومها الى أن
توفيت بالمدينة بخلافة معاوية

٢ — أسماء ابنة أبى بكر الصديق

هى أسماء ابنة أبى بكر الصديق ، وأما قتيلة بنت عبد العزى ، وهى
أخت عائشة لأبيها ، وتسمى ذات النطاقين ، لأنها صنعت للنبي صلى الله
عليه وسلم طعاماً لما هاجر فلم تجد ما تشده به فشقت نطاقها وشدت به
الطعام ، فدعيت ذات النطاقين

تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة أبناء ، وكان
عبد الله أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة

ثم طلقها الزبير ، فكانت مع عبد الله ابنها بمكة المشرفة حتى قتل
ابنها فبلغت من العمر مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة سنة ٧٣
هجريه - ٦٩٢ ميلادية

ولها شعر قليل في رثاء زوجها وابنها ، ومن كلامها لابنها عبد الله
حين قاتل الحجاج إذ دخل عليها وقال لها : يا أماه قد خذني الناس
حتى ولدي وأهلي ، ولم يبق معي إلا البسير ، ومن ليس عنده أكثر
من صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟

فقالت : أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق واليه تعود
فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمسكن من رقبتك تلعب بها
غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ،
أهلكت نفسك ومن معك ، وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن
أصحابي ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، لم
خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن . فقال : يا أماه أخاف إن قتلتني أهل
الشام أن يثلبوا بي ويصلبوني

قالت : يا بني ، إن الشاة المذبوحة لا تتألم بالسليخ فامض على بصيرتك ،
واستعن بالله

فقبل رأسها وقال : هذا رأي ، والذي خرجت به رائياً الى يومى
 هذا ، ماركنت الى الدنيا ، ولا أحيت الحياة فيها ، وما دعانى الى الخروج
 إلا الغضب لله ، وأن تستحل حرماته ، ولكنى أحيت أن أعلم رأيك
 فقد زدتنى بصيرة ، فانظري يا أماء فانى مقتول فى يومى هذا ، فلا يشند
 حزنك ، وسلمى الأمر الى الله ، فان ابنك لم يعهد بايثار منك ، ولا عمد
 بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم
 أو معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به ؛ بل أنكرته ، ولم يكن
 شئ آثر عندى من رضا ربى ، اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ،
 ولكنى أقوله تعزية لأُمى حتى تسلو عنى

فقلت أمه : إني لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلاً ان تقدمتنى
 احسبتك ، وإن ظفرت سررت بظفرك ، اخرج حتى أنظر إلام
 يصير أمرك ؟

فقال : جزاك الله خيراً ، فلا تدعى الدعاء

قالت : لأدعه لك أبداً ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق
 ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل ، وذلك
 النحيب ، والظأ فى هواجر مكة والمدينة ، وبرّه بأبيه ونى ، اللهم قد
 سامته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني فيه ثواب الصابرين
 الشاكرين

فتناول يدها ليقبها ، فقالت : هذا وداع فلا تبعد

فقال لها : جئت مودعاً لأنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا

قالت : امض على بصيرتك ، وادن منى حتى أودعك

فدنا منها فعانقته ، وقبلته ، فوقعت يدها على الدرع

فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ؟

فقال : مالبسته إلا لأشد متتك

قالت : انه لا يشد متنى ، فنزعها ، ثم درج لته ، وشد أسفل قميصه

وجبته تحت أثناء السراويل وأدخل أسفها تحت المنطقة وأمه تقول له :

البس ثيابك مشمرة ، فخرج وهو يقول مرتجراً :

« إني اذا أعرف يومى أصبر وإنما يعرف يومه الحر »

« إذ بعضهم يعرف ثم ينكر »

فسمعتة ، فقالت : تصبر إن شاء الله أبوك أبو بكر والزيبر ، وأمك

صفية ابنة عبد المطلب ، ثم حمل على القوم ، وقاتل حتى قتل وصلب ،

وطلبته أمه من الحجاج فأبى عليها اعطاه ، فكتب لعبد الملك فسمح

لها بذلك فغسلته ودفنته وبقيت بعده قليلاً وماتت بعد ما أضرت وذلك

في سنة ٧٣ هجرية

٣ — أسماء ابنة يزيد الأنصارية

هي رسول النساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنها مسلم
ابن عبيد :

أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : بأبي وأمي يا رسول الله
إن وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة
فآمننا بك وبأهلك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد
بيوتكم ، وموضع شهواتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال
فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج
بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن
أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً ، أو مجاهداً ، حفظنا لكم أموالكم ،
وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفما نشارككم في هذا الأجر
والخير ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجه كله ثم قال :
هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟
فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال : أفهمي أيتها المرأة
وأعلمي من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطيبها
مرضاته ، واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله ، فانصرفت وهي تهمل حتى

وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرحن وآمن جميعهن

وسميت أسماء : رسول نساء العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

٤ — آسية امرأة فرعون

آسية بنت مزاحم ، كانت من خيار النساء المعدودات ، تزوجت بفرعون موسى ملك مصر ، ولم تلد منه مدة حياتها معه ، وكان يحبها حباً جماً لجمالها ودماثة أخلاقها ، فكم دفعت بلاء ، ودرأت مصائب ، وبدلت العسر يسراً ، حتى كانت رحمة للعباد في زمن فرعون الفراعنة وداهية الدواهي

فمن ذلك حادث سيدنا موسى عليه السلام ، فقد جاء في الأنبياء أنه بينما كانت آسية جالسة في حديقتها الغناء ، وروضتها الفيحاء ، تجري من تحتها الأنهار ، إذا بتابوت قد أقبل عائماً على الماء ، يجري الهوَيْنُ حتى صار منها قاب قوسين أو أدنى ، فأمرت جواريتها باخراجه لاستطلاع أمره ، والوقوف على خبره

فلما فتح إذا بداخله مولود كريم ، بهى الطلعة ، مليح المحيا ، فرك منها عوامل الحنان ، وتمسكها من أجله الرفق والإشفاق ، وألقى الله عليه محبة منها ، فأمرت به أن يحمل إلى داخل القصر ، وأن يتعهد بالعتاية ، ويشمل بالرعاية

ولما وصل خبره إلى فرعون أمر بقتله ؛ لأنه كان رأى مناماً قد
 هاله ، فأحضر الكهنة والمفسرين من أرباب دولته ، وقص عليهم رؤياه
 فخذروه من مولود يولد في زمانه يكون سبيلاً في خراب ملكه ، فأمر
 بقتل كل من يولد في عهده من الصبيان من بني إسرائيل ، فحالت
 دون قتله آسية ، وشفعت له عند فرعون ، وقالت له : ليس لي ولا لك
 ولد ، فلا تقتل هذا الغلام عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، فسمح به اليها
 أن تربيته

فلما أمنت آسية عليه سمته (موسى) ورُبي في دار فرعون حتى بلغ أشده
 ونال منه مانال . وقصته معروفة وسبق ذكرها ضمن قصص الأنبياء
 في الجزء الأول

وكانت آسية ممن آمن بموسى فيما بعد . فلما أدرك فرعون منها ذلك
 انقلب عليها وتبدل حبه لها عداً ، ولكنها لم تكن تعباً به لما كانت
 تعلم من أنها على الحق ، وأن سيدنا موسى عليه السلام نبي مرسل فلم
 يفرها منه رخاء ، ولم يجتذبها إليه وعد ، ولم يهددها منه وعيد ، حتى
 ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله وهي تقول :

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾

وقد أجاب الله دعاءها ، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي
صلى الله عليه وسلم :

«خير نساء الجنة خديجة ، وفاطمة ، ومريم ابنت عمران ، وآسية
امرأة فرعون»

٥ - أم الخير بنت الحريش

كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب
قيل : أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير
ابنة الحريش ورحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً
بقولها فيه

فلما ورد عليه كتابه ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : وأما أنا فغير
زائفة عن طاعته ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير
المؤمنين لأمور تختلج في صدري

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين
كتب إلى أنه مجازيني بالخير خيراً ، وبالشر شراً فما عندك ؟
قالت : يا هذا لا يطعمك برّك بي أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك
معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير بحق مادعوتني بهذا الاسم

قلت : يا أمير المؤمنين لكل أجل كتاب

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟

قلت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت إليك ،

فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق

قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم

قلت : يا أمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال ، وما تخشى عاقبته

قال : ليس هذا أردنا أخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمار

ابن ياسر ؟

قلت : لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات

نفثها لساني عند الصدمة ، فان أحببت أن أحدثك مقالاً غير ذلك فعلت ؟

فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟

فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين

قال : هات

قال : كأني بها بين بردين زائرين كشفي النسيج ، وهي على جمل

أرملك ، وييدها سوط منتشر الضفيرة ، وهي كالفلج يهدر في شقشقه تقول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنْ أَلَّهِ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعَكُمْ فِي عَمَاءٍ مَدْهُمَةٍ ، فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ؟ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللَّهُمَّ قَدْ عَمِلَ الصَّبْرُ ، وَضَعَفَ الْيَقِينُ ، وَانْتَشَرَتِ الرَّغْبَةُ ، وَبِيَدِكَ يَارَبُّ أَزْمَةِ الْقُلُوبِ ، فَاجْمَعْ اللَّهُمَّ بَهَا الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى ، وَارْدِدِ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ

هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالرَّضَى التَّقَى ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ ، إِنَّهَا إِحْنٌ بَدْرِيَّةٌ ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَثَبَّ بِهَا وَاثَبْ حِينَ الْغَفْلَةِ لِيَدْرِكَ ثَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : قَاتَلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَنْتَهَوْنَ

صَبْرًا يَا مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

وثبات من دينكم، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة
فرت من قسورة، لاتدرى أياً يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا
الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وعما قليل ليصبحن نادمين
حتى تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، ان من
ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا ان أولياء الله استصغروا عمر
الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس،
قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، وتقوى كلمة الشيطان، فالى
أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصهره وأبى سبطيه خلق من طينته، وتفرّع من نبعته، وجعله باب دينه،
وأبان بيفضه المنافقين، وهاهوذا مفلق الهام، ومكسر الأصنام، صلى
والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى
قتل مبارزيه، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل
خير، وفرّق به جميع أهوائهم، فيالها من وقائع زرعت في القلوب
نفاقاً، ورودة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً، قد اجتهدت في القول،
وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله

فقال معاوية: يا أم الخير ما اردت بهذا الكلام إلا قتلى، ولو قتلتك
ما حرجت في ذلك

قالت: والله مايسوفنى أن يجرى قتلى على يد من يسعدنى الله بشقائه

قال : هيهات يا كثيرة الفضول ، ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟
 قالت : وما عسيت أن أقول في عثمان ، استخلفه الناس وهم به
 راضون ، وقتلوه وهم له كارهون

قال معاوية : يا أم الخير ، هذا ثناؤك الذي تثنين ؟
 قالت : لكن والله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بثمان نقصاً ،
 ولكن كان سابقاً إلى الخير ، وأنه لرفيع الدرجة غداً
 قال : وما تقولين في الزبير ؟

قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجواريه ،
 وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله
 يا معاوية ، فان قريشاً تحدثت أنك أحلمها أن تعافيني من هذه
 المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها

قال : نعم ، ونعمة عين ، قد أعفيتك منها
 ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة إلى الكوفة ، وبقيت في
 عزٍّ إلى أن توفاه الله

٦ — بلقيس ملكة سبأ

اشتهرت بلقيس بقصتها المعروفة مع سيدنا سليمان بن داود عليهما
 السلام ، وورد ذكرها في القرآن الكريم وغيره من الكتب المنزلة

واشتهرت في كتب التواريخ بأنه كان لها ملك عظيم ، واسع
الأطراف عاصمته سبأ في بلاد اليمن

وكان لها من المجد والسلطان والجمال ، والعز والشرف ما يضرب به
الأمثال ، حتى قال بعضهم : إنه كان تحت نفوذها ٤٠٠ أربعمائة ملك
يستظلون برايتها ، لكل منهم جيش يبلغ أربعين ألف مقاتل

وأما عرشها الوارد ذكره في القرآن الحكيم ، فقيل : انه كان سريراً
ضخماً من ذهب وفضة ، مرصعاً بالجواهر الكريمة ، وكان في جوف
سبعة بيوت ، عليها سبعة أغلاق ، كل بيت داخل الآخر وهو في آخرها
وقيل : كان مقدمه من الذهب محلى بالياقوت الأحمر ، والزمر
الأخضر ، ومؤخره من فضة مكللاً بأنواع الجواهر والآلئ ؛ وأنه وان
كان في هذا الوصف مبالغة عظيمة إلا أنه يدل على أن ذلك العرش لم
يسبق له مثيل في الجمال والأبهة

وأما قصتها مع سيدنا سليمان فهي مذكورة في قصته الواردة في
الجزء الأول من كتابنا أحسن القصص وتتلخص فيما يأتي :

أنه عليه السلام لما سمع بصيتها ، وأوصاف عرشها قال : ﴿ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأَ أَيْسُكُمْ يَا تَيْنِي بَعْرُشَهَا ﴾ فجاء الهدد ، وكان قد عرف مكان
بلقيس فأخبره بخبرها ودله على مكانها (وكان عليه السلام يعرف لغة

الطير) فكتب لها سليمان كتاباً وقال للهدد: ﴿إِذْهَبْ بِكِتَابِي
هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ فوافاها وهي في قصرها، فرمى الكتاب في
حجرها فقرأته، فآذابه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَى
وَأَنْتَوِي مُسْلِمِينَ﴾ فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا: ﴿نَحْنُ
أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾
قالت: إني مرسله إليهم بهدية، فان قبلها ملكهم فهو من ملوك
الدنيا، فحن أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهو نبي من عند الله

فلما قدم الوفد على سليمان عليه السلام ومعهم الهدية، ووقفوا بين
يديه، نظر إليهم بوجه طلق ثم قال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ
خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾

ثم رد الهدية، فرجع القوم وأخبروها، فعلمت أنه نبي كريم،
وشخصت إليه في موكب مهيب محفوف بالجلال والعظمة وجيء
إليه بعرشها

ثم دعاها إلى الإسلام فأسلمت، وقيل: أنه تزوجها، وتوفيت قبله
فدفنها بالشام بناحية يقال لها: (تدمر) وأخفى قبرها عن الناس، والله
تعالى أعلم

٧ — بكاره الهلاله

مئال الشجاعة

كانت من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والاقدام ، والفصاحة
والشعر والنثر والخطابة

حضرت مع سيدنا على بن ائ طالب كرم الله وجهه حرب (صفين)
ولها هناك مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم على الهلاك بدون
مبالاة بالعواقب

قيل : دخلت على معاوية يوماً وهو يومئذ بالمدينة ، وكانت قد
تقدمت فى السن ، وضعف بصرها ، وضعت قوتها ، ترتعش بين خادمين
فسامت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام وقال لها : كيف أنت يا خالة ؟
قالت : بخير يا ممر المؤمنين

قال : غيرك الدهر

قالت : كذلك ، هو ذو غير ، من عاش كبر ، ومن مات فقد

فقال عمرو بن العاص : هى والله القائلة يا ممر المؤمنين :

« يا زرد دونك فاحتر من دارنا سيقاً حساماً فى التراب دفينا »

« قد كنت أدخره ليوم كريمة فاليوم أبرزه الزمان مصونا »

وقال مروان : وهى القائلة يا ممر المؤمنين :

« أترى ابن هند للخلافة مالكا ؟ هيهات ذاك وإن أراد بعيد »
 « مَنَّكَ نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد »
 وقال سعيد بن العاص : وهى والله القائلة :

« قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا »
 « فالله آخر مدتى فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا »
 « فى كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عابا »
 ثم سكتوا فقالت : يامعاوية ، كلامك أغشى بصرى ، وقصر
 حجيتى ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خفى عليك منى أكثر مما سمعت
 فضحك معاوية وقال لها : ليس يمنعنا ذلك من برك ، اذكرى
 حاجتك

قالت : أما الآن فلا حاجة لى
 وانصرفت ، فوجه اليها معاوية بمجائزة سنوية لصدقها وشجاعتها

٨ — تُمَاضِرُ الشَّهِيرَةَ بِالْخُنُسَاءِ الشَّاعِرَةُ الْمَجِيدَةُ

مثال الصبر والثبات

هى ابنة عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية
 ابن خفاف بن امرئ القيس وتكنى (أم عمرو) وإنما الخنساء لقب

غلب عليها ، وهى الظبية ، وسميت فى بادىء الأمر (تماضر) لبياض لونها ، إذ كانت العرب تسمى المرأة ذات البشرة البيضاء (تماضر) وقد عاشت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت أشعر أهل زمانها ، وهى من المعترف لهن بالتفوق فى هذا الميدان ، وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر

« وكان معاوية أخاها لأُمها وأبيها ، وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها

واستحق صخر ذلك منها ، لأنه كان موصوفاً بالحلم ، مشهوراً بالجود ، معروفاً بالإقدام والشجاعة ، محظوظاً فى العشيرة ، وقد كان من أجل رجال العرب

فلما قُتل جلست الخنساء على قبره زماناً طويلاً تبكيه وترثيه بأبلغ ما قال الشعراء فى الرثاء . وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها

فمن شعرها فى رثاء أخيها صخر :

« ألا يصخر إن أبكيت عيني فقد أضحكتنى زماناً طويلاً »

« بكيتك فى نساء مُعُولات وكنت أحق من أبدى العويلا »

« إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا »

ومنه قولها :

« أعينى جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندا »
 « ألا تبكيان الجرى الجميل ألا تبكيان الفتى السيّد »
 « طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا »
 « إذا القوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا »
 « فنال التي فوق أيديهم إلى المجد ثم انتهى مُصعدا »
 « ويحمل للقوم ما علم وإن كان أصغرهم مولدا »
 « ترى المجد يهوى إلى بيته يرى أفضل المجد أن يحمدا »
 « وإن ذكر المجد ألفيته تآزر بالمجد ثم ارتدى »
 ومن قولها :

« يذكرنى طلوع الشمس صخراً وأذكره بكل مغيب شمس »
 « ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي »
 « وما سيكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى »
 وقد قابلتها السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه
 وسلم بعد مامات أخوها صخر ، وهى محزونة محلوقة الرأس ، تدب من
 الكبر والضعف على عصا ، فسألتها عائشة :

ما الذى بلغ بك ما أرى ؟ فقالت : موت أخى صخر
 فقالت عائشة : مادعاك إلى هذا إلا صنائع جميله فصفنيها لى ؟
 قالت : نعم ، ذلك أن زوجي كان رجلاً متلاًفاً للأموال ، يقامر

بالقداح ، فأثلف فيها ماله ، حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له : أقم وأنا آتي أخى صخرأ فأسأله ، فأتيته فشكوت اليه حالنا ، وقله ذات أيدينا ، فشاطرني ماله .

فانطلق زوجي فقامر به ، ففُمر حتى لم يبق لنا شيء ، فعدت اليه في العام المقبل أشكو اليه حالته ، فشاطرني بمثل ذلك ، فأثلفه زوجي .

فلما كان في الثالثة آفى الرابعة خلت بصخر امرأته فعدلته ثم قالت :

ان زوجها مقامر ، وهذا مالا يقوم به شيء ، فإن كان ولا بد من صلتها فأعطها خمس مالك ، فلما هو متلف ، والخير فيه والشر سيان ، فلم يرض صخر بذلك ، بل شطر ماله شطرين وأعطاني أفضلهما ، فلما مات صخر أصبحت على ماترينه ، وحق لى البكاء والعزاء .

ولما قدمت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم استسلمها أى دعاها للإسلام فأسلمت ، واستنشدتها فأشدت ، فأعجب بشعرها وهو يقول : هيه يا خنساء ، ثم انصرفت ولم تنقطع عن أوجاعها وأاناتها حتى بعد الإسلام ، بل كانت تقص شعرها ، وتلبس ثوباً خلقاً من الجنس الأسود ، وتندب أخويها على عادة العرب فى جاهليتها .

فلما رآها سيدنا عمر بن الخطاب ذات يوم أثناء طوافها بالكعبة وهى على هذه الحال ، فتقدم اليها ونصحها كثيراً فأجابته : لم تصب امرأة بمثل ما أصبت به ، فكيف أتحمل مضض فراق فارسين فقدتهما ؟

فأجابها عمر بما هوّن عليها المصيبة ، وذكر لها أن مصائب كثير من
الناس أشد هولاً لو اطلعت على بواطن أمرهم ، وقال لها : ان ماهي عليه ،
من الحداد من بدع الجاهلية التي حرّمها الإسلام ، فامتثلت أمره
وكانت رحمها الله صادقة الوطنية ، بأسلة مقدمة ، فيما يؤثر عنها أنه
لما سارت جيوش العرب لفتح بلاد فارس انضمت اليهم ومعها أبناؤها
الأربعة ، وحضرت وقعة القادسية المشهورة ، ففي ليلة الواقعة صارت
تزودهم بالنصيحة ، وتذكى حميتهم ، ومما قالته لهم :

« يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاعلموا أن الدار
الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا وربطوا ، واتقوا الله
لعلكم تفلحون

فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها تظفروا بالغنم
والكرامة ، في دار الخلد والمقامة »

فلما أضاء لهم الصبح بادروا إلى مراكرهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد
ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم
فلما بلغها الخبر قالت :

الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في
مستقر الرحمة

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين وقتئذ يعطيها أرزاق

بنيتها الأربعة ، وكان لكل منهم مائة درهم إلى أن ماتت رحمها الله ،
وأصبح يضرب بها المثل في الصبر والثبات

٩ — خولة بنت الأزور الكندى

هى أخت ضرار بن الأزور ، كانت مشهورة بالشجاعة والجمال ،
خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها فى خلافة أبى بكر الصديق ،
وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ، ولها وقائع مشهورة
فمن وقائعها ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى وقعة (صحورا)
من أعمال الشام ، فقد جمعت النساء وقامت فيهن خطيبة ، وكانت هى
من ضمن المأسورات ، فقالت :

يابنات حمير ، وبقية تبع ، أترضين لأنفسكن علوج الروم ، ويكون
أولادكن عبيداً لأهل الشرك؟ فأين شجاعتكن وبراعتكن التى تتحدث
بها عنكن أعباء العرب ومحاضر الحضرة؟ وإني أراكن بمعزل عن ذلك ،
وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب ، وما نزل عليكن
فى خدمة الروم

فقالت لها عفراء بنت غفار الحميرية : صدقت والله يا بنت الأزور
نحن فى الشجاعة كما ذكرت ، وفى البراعة كما وصفت ، لنا المشاهد العظام ،
والمواقف الجسام ، والله لقد اعتدنا ركوب الخيل ، وهجوم الليل ، غير أن

السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنا دهننا العدو على حين غفلة

وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح

فقلت خولة : يا بنات التبابعة خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب

ونحمل بها على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم فنستريح من

معة العرب

فقلت عفراء بنت غفار : والله ما دعوت إلا إلى ما هو أحب إلينا

بما ذكرت

ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة

وألقت خولة على عاتقها عموداً، وسعت من وراءها عفراء أم أبان بنت

عتبة، ومسلمة بنت زارع وغيرهما

فقلت لمن خولة : لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة ولا

تتفرقن، فتملكن، فيقع بكن التشيت، واحطمن رماح القوم، وأكسرن

سيوفهم، وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلن قتالاً شديداً

حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول :

« نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر »

« لأننا في الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر »

ووقائعها كثيرة، وقد أبلت بلاء حسناً في فتوح الشام ومصر، وعمرت

طويلاً وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان رحمه الله رحمة واسعة

فعلى مثل هذه بأسف الدهر وعلى تهيجها يُحمد السير

١٠ — الخيزران ابنة عطاء (أم الهادي والرشيد)

كانت ذات جمال ، وبهاء وكمال ، اشتراها محمد أبو عبد الله المهدي بمائة ألف درهم ، واستحظى بها وقدمها على جميع نسائه ، لما لها من الأدب واللفظ ، وقد أخذت من قلبه مكانة عظيمة ، وولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد ، وقد تقدمت في خلافة ولدها موسى الهادي ، حتى أنها شاركت في الأحكام من كثرة تداخلها معه في أمور المملكة ، وكان كثير الطاعة لها ، مجيباً لما تسأله من الحوائج للناس ، فكانت الموابك لا تخلو من بابها ، وفي ذلك يقول أبو المعافى :

« ياخيزران هناك ثم هناك إن العباد يسوسهم إيناك »

وذكر المسعودي : كانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها المعروفة (بأساس) وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ، وهي على بساط أرمني ، وهنَّ على ثمارق أرمنية ، وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة ، فبينما هي كذلك إذ دخل خادم لها فقال : بالباب امرأة ذات حسن وجمال ، في أطمار رثة ، تأتي أن تخبر باسمها ، وشأنها غيركم ، وتروم الدخول عليكم . وقد كان المهدي تقدم إلى الخيزران بأن تلزم (زينب بنت سليمان بن علي) وقال لها :

(م - ٧ - خامس)

اقتبسى من آدابها ، وخذى من أخلاقها ، فانها عجوز لنا ، قد أدركت
أوائلنا ، فقالت الخيزران للخادم : ائذن لها ، فدخلت امرأة ذات بهاء
وجمال ، فى أطمار رثة ، فتكلمت فأوضحت عن بيان لسان ، فقالوا لها :
من أنت ؟ قالت : أنا (مزينة امرأة مروان بن محمد) وقد أصارنى الدهر
إلى ماترين ، والله ما الأطمار الرثة التى علىّ إلا عارية ، وأنكم لما
غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا ، لم نأمن مخالطة العامة ،
على ما نحن فيه من الضرر ، على بادرة الينا تزيل موضع الشرف ،
فقصدنا كم لنكون فى حجابكم على أية حالة كانت ، حتى تأتى دعوة
من له الدعوة ، فاغرورقت عينا الخيزران ونظرت إليها زينب بنت
سليمان بن على ، فقالت : لاخفف الله عنك يا مزينة ، أتذكرين وقد
دخلت إليك (بحرّان) وأنت على هذا البساط بعينه ، فكلمتك عن
جثة ابراهيم الإمام ، فانهرتنى ، وأمرت باخراجى وقلت : ما للنساء
والدخول على الرجال فى آرائهم ، فوالله لقد كان مروان أروعى للحق
منك ، لقد دخلت إليه خلف أنه ماقتله ، وهو كاذب ، وخيرنى بين أن
يدفنه أو يدفع إلىّ جثته ، وعرض على مالا فلم أقبله ، فقالت مزينة :
والله ما نظن هذه الحالة أدتنى إلى ماترينه إلا بالفعل الذى كان منى ،
وكأنك استحسنيتيه ، فخرضت الخيزران على فعل مثله ، إنما كان يجب
أن تمضيها على فعل الخير ، وترك المقابلة بالشر لتحرز بذلك نعيمها ،

وتصون بها دينها ، ثم قالت لزَيْنَب : يا بنت عم كيف رأيت
صنيع الله بنا في العقوق ، فأحببت التأسي بنا ، ثم ولّت باكية ، فغمزت
الخيزران بعض جواربها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت
بتغيير حالها ، والإحسان إليها ، فلما دخل المهدي عليها ، وقد انصرفت
زَيْنَب ، وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه في كل عشية ،
قصت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ، فدعا
بالجارية التي ردتها ، فقال لها : لَمَّا رددتها إلى المقصورة ، ما الذي
سمعتها تقول ؟ قالت : لحقتها في الممر الفلاني ، وهي تبكي في خروجها
مؤتسية ، وهي تقرأ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا
اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ثم قال للخيزران :
والله ، والله ، لو لم تفعل بها ما فعلت ، ما كلمتك أبداً ، وبكى بكاءً
كثيراً ، وقال : اللهم اني أعوذ بك من زوال النعمة ، وأنكر فعل
زَيْنَب ، وقال : لولا أنها أكبر نساءنا لحلفت أن لا أكلمها ، ثم بعث
إليها بعض الجوارب إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية :
إقرئي عليها السلام ، وقولي لها : يا بنت عم ، ان اخواتك قد اجتمعن
عندي ، ولولا أني ابن عمك لجئناك ، فلما سمعت الرسالة ، علمت مراد

المهدي ، وقد حضرت زينب بنت سليمان ، فجاءت (مزينة) تسحب أذيالها ، فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ورفع منزلتها فوق منزلة زينب بنت سليمان بن علي ، ثم تفاوضوا أئمة أسلافهم ، وأيام الناس ، والدولة وتنقلها فما تركت لأحد في المجلس كلاماً ؛ فقال لها المهدي : يا بنت عم والله لولا أنا لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم في أمرنا شيئاً لتزوجتك ، ولكن لا شيء أصوب لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى ، لك مالهن ، وعليك ما عليهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر ، في حكم به على الخلق ، ثم أقطعها مثل مالهن من الإقطاع ، وأخدمها وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي ، وأيام الهادي ، وصدر من أيام الرشيد وماتت في خلافته لا يفرق بينها وبين نساء بني هاشم

فلما قبضت جزع الرشيد والخدم جزعاً شديداً ، وأخرجها بمشهد

يليق بمثلها

وكلت الخيزران ولدها الهادي ذات يوم في أمر فلم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً ، فاعتل عليها بعلقة فقالت : لا بد من إجابتي قال : لا أفعل . قالت : فاني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب الهادي وقال : ويل لابن الفاعلة ، قد علمت أنه صاحبها لاقضيتها لك قالت : إذا والله لا أسألك حاجة أبداً

قال : إِذَا وَاللَّهِ لَا أَبَالِي ، وَقَامَتِ مَغْضِبَةٌ
فَقَالَ : مَكَانَكَ ، فَاسْتَوْعَى كَلَامِي وَاللَّهِ وَإِلَّا نَفَيْتَ مِنْ قَرَابَتِي مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ لَنْ بُلَغْنِي أَنَّهُ وَقَفَ بِيَابِكَ أَحَدٌ مِنْ قَوَادِي أَوْ مِنْ خَاصَتِي
أَوْ مِنْ خَدْمِي لِأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَلَا قَبْضَنَ مَالِهِ ، فَمِنْ شَاءَ فَلْيَلْزَمْ ذَلِكَ
مَا هَذِهِ الْمَوَاكِبُ الَّتِي تَعْدُو إِلَى بَابِكَ كُلِّ يَوْمٍ ، أَمَّا لَكَ مَغْزَلٌ يَشْغَلُكَ ؟
أَوْ مَصْحَفٌ يَذْكُرُكَ ؟ أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكَ ؟ إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَحِيَ فَالْكَ
فِي حَاجَةٍ لِمُسْلِمٍ وَلَا ذِمِّي ، فَانْصَرَفَتْ وَمَاتَعَقَلُ مَا تَجِيبُ ، فَلَمْ تَنْطِقْ بِحَلْوٍ
وَلَا مَرٍّ بَعْدَهَا

ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَيُّمَا خَيْرٍ أَنَا أَمْ أَنْتُمْ ؟ وَأَمِي أَمْ أَهْمَاتِكُمْ ؟ قَالُوا :
بَلْ أَنْتَ وَأَمْكُ خَيْرٌ . قَالَ : فَأَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يَتَحَدَّثَ الرِّجَالُ بِخَبْرِ أُمِّهِ
فَيُقَالُ : أُمُّ فُلَانٍ فَعَلَتْ وَصَنَعَتْ ؟ قَالُوا : لَا نَحِبُّ . قَالَ : فَمَا بِالْكَمْ تَأْتُونَ
مَنْزَلَ أُمِّي فَتَتَحَدَّثُونَ بِحَدِيثِهَا ؟ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْقَطَعُوا عَنْهَا ، وَبَعْدَ
مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ تَنَاسَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ ، فَبِعَثَ الْهَادِي بَارِزًا إِلَى الْخِيزَرَانِ
وَقَالَ لَهَا : قَدْ اسْتَطَبَّتْهَا فَكُلِّي مِنْهَا ، فَقِيلَ لَهَا : امْسِكِي حَتَّى تَنْظُرِي ،
فَجَاءُوا بِكَلْبٍ فَأَطْعَمُوهُ ، فَسَقَطَ لَحْمُهُ لَوْقَتِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا كَيْفَ رَأَيْتِ الْأَرَزَّ
قَالَتْ : طَيِّبًا . قَالَ : مَا أَكَلْتُ مِنْهَا ، وَلَوْ أَكَلْتُ مِنْهَا لَاسْتَرَحْتُ مِنْكَ
مَتَى أَفْلَحَ خَلِيفَةُ لَهُ أَمْ ؟

وكان سبب وفاة الهادي من قبل أمه الخيزران ، كانت أمرت الجوارى بقتله للسبب عينه ، وقيل : كان السبب في أمرها بذلك أن الهادي لما جد في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جوارىها عليه لما مرض وأمرتهن بقتله فقتلوه بالغم والجلوس على وجهه فمات ، فأرسلت إلى يحيى بن خالد تعلمه بموته ، وبعد ذلك بقيت معززة مكرمة عند الرشيد والمأمون ، إلا أنها اقتصرت عن التدخل في الأحكام ، حتى أدركتها الوفاة في خلافة المأمون ، وأخرجت باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء رحمها الله تعالى

١١ — الدارمية الحجونية

كانت فصيحة اللسان ، بليغة البيان ، غير هيابة في المقال ، لايسألها أحد سؤالاً إلا جاوبته بأحسن جواب ، وأقنع خطاب
قال أبو سهل التميمي : لما حج معاوية سأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل (بالحجون) يقال لها (دارمية) وكانت سوداء ، كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث اليها فجئ بها ، فقال : ماجاء بك يا ابنة حام . فقالت : لست بابنة حام ، أنا امرأة من بني كنانة وأنت طلبتني قال : صدقت : أتدريين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا أعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك أسألك علام أحببت علياً وأبغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟

قالت : أو تعفيني ؟ قال : لا أعفيك . قالت : اما إذا أبيت فاني أحبيت علياً على عدله في الرعية ، وقسمته بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبك ما ليس لك به حق ، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء ، وحبه المساكين ، واعظامه لأهل بيته ، وعاديتك عن سفك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك

قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك

قال معاوية : يا هذه اربعى فانا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها

فلما سمعت ذلك رجعت وسكن غضبها ، ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : نعم . رأيته . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته

والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك

قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم . والله فكان يجلو القلوب

من العمى كما يجلو الزيت الصدا من الطست

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟

قال : نعم : قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها جملها وراعيها

قال : ماذا تصنعين بها ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، واستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المسكرم ، وأصلح بها بين العشائر
 قال : فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل على بن أبي طالب ؟
 قالت : سبحان الله أو دونه ، فأنشأ معاوية يقول :
 « إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فممن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم »
 « خذوها هنيئاً واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم »
 ثم قال ؟ أما والله لو كان على حيٍّ ما أعطى منها شيئاً
 قالت : لا والله ، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ، ثم أخذتها وانصرفت

١٢ — رابعة العدوية

ابنة اسماعيل البصرية العدوية

كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن ، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زماناً ، وكانت تقول : استغفارنا يحتاج إلى استغفار ، وكانت ترد ما أعطاه الناس لها ، وتقول : مالى من حاجة بالدنيا ، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها الخلال البالى ، تكاد تسقط إذا مشت ، وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها ، وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها ، وسمعت رضى الله عنها (سفيان الثوري) يقول :

واحزنه ! فقالت : واقلة حزناه ! ولو كنت حزيناً ما هناك العيش .
ومناقبها كثيرة رضى الله عنها ومشهورة ، وجاء في ترجمتها لابن خلكان
انها كانت من أعيان عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ،
وذكر أبو القاسم القشيري في الرسالة : أنها كانت تقول في مناجاتها :
« إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك ؟ » فتهف بها مرة هاتف « ما كنا نفعل
هذا فلا تظني بنا ظن السوء »

وقال بعضهم : كنت أَدْعُو لرابعة العدوية فرأيتها في المنام تقول :
هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور
وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى لا أعده شيئاً
ومن وصاياها : اكتبوا حسناتكم كما تكتبون سيئاتكم
وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف
المعارف هذين البيتين :

« إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسى »
« فالجسم منى للجليس مؤانس وحبیب قلبی فی الفؤاد أنیسى »
وكانت وفاتها في سنة ١٣٥ ذكره ابن الجوزي في شذور العقود ،
وقال غيره سنة ١٨٥ رحمه الله تعالى . وقبرها يزار وهو بظاهر القدس
من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور

وذكر ابن الجوزي في كتاب « صفوة الصفوة » في ترجمة رابعة
المذكورة باسناد له متصل الى عبدة بنت أبي شوال قال : وكانت من

خيار اماء الله تعالى ، وكانت خادمة رابعة تقول : كانت رابعة تصلى الليل كله ، فاذا طلع الفجر هجمت في مصلاها هجمة خفيفة حتى يسفر الفجر ، فكنت أسمعها تقول ، إذا وثبت من مرقدتها وهي فزعة : يانفس كم تنامين ؟ وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور ؟ وكان ذلك دأبها مدة حياتها حتى ماتت . ولما حضرتها الوفاة دعتنى وقالت يا عبدة : لا تؤذنى بموقى أحداً وكفني فى جبتى هذه ، وهى جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت : فكفنتها فى تلك الجبة ، وفى خمار من صوف كانت تلبسه ، ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة استبرق خضراء ، وخمار من سندس أخضر ، لم أر شيئاً قط أحسن منه فقلت : يارابعة ما فعلت بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إن الله نزع عني ، وأبدلت به مائرته على ، فطويت أكفانى وختم عليها ، ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة . فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ، فقالت : وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه ؟ فقلت لها : ما فعلت (عبدة بنت أبى كلاب) فقالت : هيات هيات سبقتنا والله إلى الدرجات العلا ، فقلت : وبم ؟ وقد كنت عند الناس أكبر منها

قالت : انها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا أو

أمست . فقلت لها : فما فعل أبو مالك ؟ أعنى ضيغاً . قالت : يزور الله عز وجل متى شاء . قلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : ينجح أعطى والله فوق ما كان يؤمل ، قلت : فمريني بأمر أتقرب به من الله عز وجل

قالت : عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك
رحمها الله تعالى

وكان الحسن البصرى توفيت زوجته فأراد زوجة ، فقيل له عن رابعة العدوية ، فأرسل إليها يخطبها ، فردته وقالت :

« راحتي يا اخوتي فى خلوتي وحييى دائماً فى حضرتى »
« لم أجد لى عن هواء عوضاً وهواه فى البرايا محنتى »
« حيثما كنت أشاهد حسنه فهو محرابى إليه قبلى »
« إن أمت وجداً وما ثم رضا واعنائى فى الورى واشقوتى »
« ياطيب القلب يا كل المنى جد بوصل منك يشفى مهجتى »
« ياسرورى يا حياتى دائماً نشأتى منك وأيضاً نشوتى »
« قد هجرت الخلق جمعاً أرتجى منك وصلاً فهو أقصى منيتى »
وكانت تقول مرة : إلهى ، ماعبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً
فى جنتك ، بل حباً لك ، وقصد لقاء وجهك ، وتنشد :

« أجبك حبين حب الهوى وجباً لأنك أهل لذاك »
« فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواك »
« وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراك »
« فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاك »

مثال من زهد رابعة العدوية

روى: أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم ، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها ، فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم ، وليس تمضى الأيام والليالى حتى أتمها مائة ألف ، وأنا أصير لك مثلاً ومثلاً فأجيبنى »

فكتبت اليه : بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابى هذا فبهى زادك ، وقدم لمعادك ، وكن وصى نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك ، فصم الدهر ، وليكن فطرك الموت

وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه
ماسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين
وفي هذه الحكاية إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو
تقصان وخسران ؟ فانظروا كيف كان زهد رابعة العدوية في الدنيا
واشتغالها بذكر الله

١٣ - رَحْمَةُ زَوْجَةِ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَام

هي بنت (أفرايم بن يوسف بن يعقوب) عليهما السلام ، كانت من
النساء الصالحات الطائعات لأزواجهن ، وقد اتصفت من دون النساء
بالصبر الجميل على بلاء زوجها أيوب عليه السلام حين لم يبق له مال ،
ولا ولد ، ولا صديق ، ولا أحد يقربه غيرها ، فانها صبرت معه على
مضض ذاك البلاء الشديد ، وكانت تأتيه بطعام وشراب ويبيتان
يحمدان الله سبحانه وتعالى ، ويرجوان منه عفواً على مانالهما من البلاء
فلما كانت في بعض الأيام تمثل لها إبليس في صورة رجل فقال لها :
أين بعلك يا أمة الله ؟ فقالت : هو ذاك مبتلي في جسده ، فلما سمع منها
طمع أن تكون جزعةً فوسوس لها ، وذكرها ما كانت فيه من
النعيم والمال ، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من
الضر ، وإن ذلك لا ينقطع عنه أبداً ، فصرخت ، فلما صرخت علم

أنها قد جزعت، فأتى بسخلة وقال لها . ليدبح أيوب هذه لى وسيبرأ ،
فجاءت تصرخ وقالت : يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ،
أين المال ؟ أين الماشية ؟ أين الولد ؟ أين الصديق ؟ أين ثوبك
الحسن قد تغير وصار مثل الرماد ؟ وأين جسمك الحسن الذى قد بلى
اذبح هذه السلخة واسترح

فقال لها أيوب : أتناكعدو الله فنفخ فيك فأجبتيه ، أرايت ماتبكين
عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم علينا به ؟ قالت :
الله . قال : فكم متمنا به ؟ قالت : كذا سنة . قال : فمنذ كم ابتلانا الله ؟
قالت : منذ سبع سنين . قال : ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت
ربك إلا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا كما كنا فى الرخاء ،
والله لئن شفى الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتنى أن أذبح لغير الله
طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ، لا أذوق مما تأتينى به بعد
إذ قلت هذا ، فاعزبى عني لأراك ، فطردها

فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها ، وليس عنده طعام ولا شراب
ولا صديق خر لله ساجداً وقال رب : ﴿ أَنَّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ ثم رد الأمر
إلى ربه فقال : ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فأوحى الله اليه أن اركض
برجلك ، فركض فنبعت عين ماء فاغتسل ، فلم يبق من دائه شئ ظاهر
إلا سقط بأثره ، وأذهب الله عنه كل ألم وداء ، وكل سقم ، وعاد عليه

شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل مما مضى ، وجعل يلتفت يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً مما كان من أهل وولد ومال إلا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ، ثم ان رَحمة قالت : أرايت ان كان قد طردنى الى من أكله ؟ أأدعه حتى يموت جوعاً وعطشاً ويضيع ، فوالله لأرجعن اليه ، ثم رجعت ، فاذا حال أيوب قد تغيرت فجعلت تطوف وتبكي ، وذلك بمرأى من أيوب ، فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها : ماتريدين يا أمة الله ؟ فبكت وقالت : أردت ذلك المبلى الذى كان هنا ، لا أدري أضاع أم ماذا فعل به ؟

فقال أيوب عليه السلام : ما كان منك . فبكت وقالت : بعلى فهل رأيته ؟ فقال : وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ قالت : وهل يخفى على أحد رآه . ثم انها جعلت تنظر إليه وقالت : أما انه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً . قال : فأنا أيوب أمرتنى أن أذبح لابليس ، فانى أطعت الله وعصيت الشيطان ، فردّ على ماترين ، فاعتنقه ، فقيل : انها ما فارقت من عناق حتى مربها كل ما كان لهما من المال والولد

فلما برأ أيوب أراد أن يبر يمينه بأن يجلد رَحمة ، فأمره الله أن يأخذ من جماعة الشجر مبلغ مائة قضيب خفافاً لطفاً ويضربها ضربة واحدة كما قال تعالى :

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ الآية

وقيل : كانت رَحمة تكسب له ماتعمل للناس فتبيعه وتجيئه بقوته ،
فلما طال عليها البلاء ، وسئمها الناس ، فلم يستعملها أحد التمت يوماً
من الأيام تطعمه فما وجدت شيئاً ، فجرت قرنًا من رأسها فباعته
برغيف فأتته به ، فقال لها :

أين قرنك ؟ فأخبرته الخبر ، فخرن عليها ، وشكر صنيعها

١٤ - زبيدة أم الأمين

بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور العباسي

في العصر الثاني للهجرة النبوية ولدت بطلة من بطلات الإسلام
زادت نور عصرها إشراقاً « هي السيدة زبيدة »
نشأت زبيدة في مهد الدولة العباسية ، فكانت مهبط الحب ، وموطن
العناية ، والتجلة والإعزاز ، من قلوب بني العباس ؛ لاسيما جدها
(المنصور) ركن الدولة العباسية ، وعميدها الأجل ، فقد كان يؤثرها
بقلبه ، ويختصها بحب فوق كل حب ، وهو الذي لقبها (بزبيدة) لما
رأى من بضاضتها ونضارتها ، فغلب عليها هذا القلب ، وصارت تسمى
به دون اسمها الحقيقي ، وكانت تسمى (أم العزيز) وكانت تكنى
(أم جعفر)

وقد قام جدها بتربيتها ، فأحسن أدبها ، وعلمها القراءة والكتابة ، وحفظها الأخبار والسير والشعر ، فثبتت كلفة بالشعر ، والهة بالأدب ، حتى كانت تزين حوائط غرفتها بالسجف (الستائر) الموشاة بالنظم البديع ، والآيات الرائعة

وكانت ذات ملامح جذابة ، وجمال خاص بنساء عصرها ، فاشتهر عنها الأدب والكمال والجمال ، مع علو النسب ، حتى صار يضرب بها المثل في الأندية العالية والمجامع الراقية

وقد ظهر من اعزازها والمغالة بشأنها يوم أن زفت على ابن عمها الرشيد ، فقد عقد له عليها عام ١٦٥ هجرية وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وتمت حفلة قرانها بأبهة خارقة للعادة لايتسع لها مجال الخيال . فكانت من أبداع الحوادث التى يروىها التاريخ بأسهاب وإطناب ، يقصر دونهما كل قول ووصف ، وقد نالت تلك الحادثة استحسان جمهور المسلمين المنتشرين فى أصقاع العالم ، ووقعت من نفوس كبرائهم وأمرائهم موقع الاستحسان ، فتهافتوا على هذه الأميرة الهاشمية بأنواع الهدايا ، وأصناف المجوهرات والطيب ، وأدوات الزينة استجلاباً لرضاها ورغبة فى حظوتها

وما كاد يمضى على زواجها أربعة أعوام حتى ولدت له (محمد

(م - ٨ - خامس)

الأمين) ثم بعد ذلك بعام واحد أى سنة ١٧٠ هجرية تقلد الرشيد
زمام الخلافة بعد أخيه موسى وهو فى العشرين من عمره

وكانت الأميرة زبيدة وسمية الطلعة ، طويلة القد ، بضة (ناعمة)
الجسم ، بيضاء اللون ، ذات عينين براقيتين ، وفم صغير ، فخورة بأصلها
وحسبها ، تعتز كثيراً باتسابها إلى الدوحة الهاشمية ، وتفخر لأنها حفيدة
خليفة ، وزوج خليفة ، وأم خليفة ، فكيف لا تباهى ولا تعتز ؟ ومن
تكون من نساء عصرها أجدر بالفخر والسؤدد منها ؟

أما وفور عقليها ، وفضلها ونبلها ، فما سار مسار الأمثال ، ومن أجل هذه
المزايا التى قلّ أن تتوفر فى امرأة أخرى تربعت على عرش بغداد ،
وقبضت بيدها على صولجان زمنها الزاهر

وكان لباسها المعتاد جلباباً شاملاً إلى الأرض ، وعلى هذا الجلباب
وشاح يزينه نطاق مرصع بالجواهر ، تشده بين عاتقها وخصرها
وكانت تمتنع عن التحلى بالأحجار الكريمة ، والجواهر النفيسة ،
ترفعاً منها وأنفةً ، ورغبةً فى التمييز عن عامة الناس ، فما كنت ترى فى
أصبعها خاتماً ، ولا فى معصمها سواراً ، ولا فى جيدها قلادةً ؛ وإنما كانت
نسيج وحدها فى لباسها وزينتها ، وهذه الخصلة المتقلبة على نفسها كانت
تزين بتلك اللآلىء النفيسة ، التى تضن بها على أى قسم من أقسام

جسمها ، أحذيتها ونعالها المرصعة المقصبة بخيوط الذهب
وقد سألها ابنها المحبوب (محمد الأمين) عن ذلك ذات مرة
فأجابته بوقار وشم : « أفعل ذلك لأننى لا أريد التشبه بغيرى من النساء »
أجل لقد كانت تنفر من التقليد والمحاكاة نفوراً شديداً ، وهذا
النفور حدا بها إلى إدخال تعديل كبير فى عصابة الرأس التى ابتدعتها ،
(العباسة) أخت زوجها الرشيد ، فإما كانت تضع شيئاً من اللآلىء والجواهر
فى عصابتها كما كانت تضع نساء زمنها ، وإنما تضع قطعة من النسيج
الأسود الرقيق بلا ترصيع ولا تطريز تزيد من هيبتها ، وتكسبها كثيراً
من الروعة والجلال

وتكاد السيدة زبيدة تكون المرأة الإسلامية الأولى فى استعمال
أوانى الفضة والذهب ، والاكتثار من اقتنائها ، كما كانت نموذجاً لغيرها
فى اقتناء الملابس الحريرية ، والتأنق فى صناعاتها ، وكان يعجبها من
الألوان الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق

تركت بعد زواجها قصر الخلد ، وانتقلت إلى قصرها الخاص المسمى
(دار القرار) على شاطئ الدجلة البديع ، وكان منقطع النظير فى
زمانه ، تحيط به حديقة غناء ، تجلب الأنظار بزهورها ، وأشجارها المثمرة
الزاهرة . أما داخل القصر فكان لا يقل بهاء عن خارجه ، إذ كان

مفروشاً بذوق خاص ، وأثاث متشعب ، وغرفة مزدانة كل منها
بزينة تغاير ما في الأخرى

وكان سكان « دار القرار » لا يقلون شهرةً عن شهرة القصر نفسه ،
فقد كانت جوارى الأميرة زبيدة من نخبة الجوارى في عصرها من
ذوات الجمال ، والمعرفة بالقراءة والكتابة وانشاء الشعر ، وبينهن مائة
جارية اشتهرن بحفظ القرآن الكريم ، وتلاوته ليل نهار ، ولكل واحدة
ورد عشر القرآن

وكانت هذه الأميرة العظيمة متمسكة بأهداب الدين ، يعجبها
كثيراً سماع القرآن المبين ، من جوارىها الحافظات له ، وقد اشتهر أمر
هؤلاء ، وطار صيتهن في الأصقاع . ففي كتب التاريخ : إن المار بجانب
قصرها يسمع أصوات ترتيلهن كطين النحل عندما تكون على مقربة
من خلاياها

وكان لها من قلب الرشيد حمى لا يرام ، إذ لبثت ربة القول في قلبه
وقصره ، رغم المنافسات من جواريه العديديات ، لوفور عقلها ، ونبل
صفاتها ، ومزاياها التي انفردت بها دون سواها من نساءه ، فكان لا يسعى
لأمر دون مشورتها ، ولا يمضى في عمل دون أخذ رأيها ، وبالأجمال
فانه كان مفتوناً بنفاذ لبها ، ونبل خلقها ، وعظمة قلبها
كانت الأميرة زبيدة من ذوات البر والإحسان ، وخيراتها كثيرة

تجعلها من أمهات المحسنين في الإسلام ، وكانت أموالها وأملأها وفيرة
لا تقع تحت حصر أو قياس ، حتى تحدثوا عن مزارعها وضياعها في بلاد
العجم فضلا عن البلدان العربية

وقد أنشأت كثيراً من المدارس والمستشفيات ، وأمرت بتأسيس
الملاجئ ، وحفر الآبار والعيون ، وكان لها في كل مرافق البر الأثر
الجليل

ففي العام السادس والثمانين بعد المائة من الهجرة حجَّ الرشيد مع
امراته السيدة زبيدة ، وكان في صحبته خلق كثير من الأعيان والأمرأ
من بينهم ولداه الأمين والمأمون ووزيره جعفر بن يحيى البرمكي . وقد
أظهرت الأميرة أثناء حجها من المبرات والحسنات ما لا يدع قولاً لقاتل ،
ولا سبيلاً لمفتخر ، مما أسسته من مساجد ، ومكاتب ، وملاجئ ،
ومنازل ومشارب ، فكل ذلك السنة تنطق بخيرها العيم ، أبد الدهر
ومدى العمر ، وهذا كله لا يقاس بمفخرتها الخالدة وهي (عين زبيدة)
وبتلك العين التي حفرتها في صحارى الحجاز الجرداء ، وأجرت منها
الماء إلى مكة المكرمة ، قد وفرت العناء ، واحتمل ضروب المشقات
عن مئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يحتملون
من قرب الماء ما يوقر ظهورهم

وقد كلف حفر اثني عشر كيلو متراً من هذه العين الجارية ، التي يعد

مشروعها نفحة من نفحات الاله ، ألف ألف وسبعائة ألف دينار
(أجمعت على هذا التقدير كل التواريخ)

ومن غريب آثارها في مكة قصر من البلور أنشأته في نفس مكة
ويعد آية الآيات في صنعه

ولما مات الرشيد (بطوس) كان ابنه المأمون في مدينة (مرو)
والياً على (خراسان) وكان الأمين ببغداد ، وزيدة (بالركة) فانتشر
نعي الخليفة بسرعة البرق ، وسعى (صالح بن هارون) إلى الأمين بخاتم
الخليفة وسيف أبيه ، وكسوته الخاصة ، مبايعاً له حسب التقاليد والعادات
وكان الأمين قد انتقل من قصر الخلد إلى دار الخلافة ، وبايعه
الوزراء والجند بالخلافة عقب صلاته وخطبته حسب العادة المتبعة

أما الأميرة زيدة فقد طاب لها المقام في (الرقة) ولم تشأ أن
تحضر إلى بغداد ، ولكن ابنها الخليفة ألح عليها في الحضور فلم ترداً
من إجابة دعوة ولدها المحبوب ، فتوجهت إلى العاصمة في شعبان واستقبلها
ابنها باحتفال مهيب من مدينة الأنبار ، وكان لوصول الأميرة أثر من
العظمة الخالدة التي لا يمكن نسيانها ، حيث وصل موكبها بين الهتاف
المتواصل ، وأصوات التهليل ، ومظاهر التقدير والتبجيل ، إلى بغداد ،
ووقف أمام قصر الخلافة ، ولم يمض زمن طويل على خلافة الأمين
حتى قتل في الثامنة والعشرين من حياته ، وتولى الخلافة من بعده المأمون

ولهذا اضمحل نفوذ زبيدة ، واضمحل شأنها ، ولم يبق لعظمتها مجال ، واضطرت أن تعيش في دائرة محدودة في سكون واستكانة، لأن (طاهر بن الحسين) قائد المأمون اضطهداها، وعمل على تعذيبها، وأذاقها ألوان التحقير والاهانة ، وهكذا الدهر بالناس قلب، إذا صفا لأحد يوماً ففي غد يتقلب

ولقد صبرت زبيدة على الأذى ، وتحملت كل ذلك بصبر وثبات جأش ، وانها لجديرة بالتقدير لثباتها هذا ، لأن زبيدة العظيمة (امراة الرشيد) تلك التي عاشت مكرمة معززة ، مرفهة طول حياتها ، دون أن يصيبها مكروه ، أو يعكر صفو حياتها أذى ، أو تسمع أو ترى ما يشعر بهوانها ومذلتها لم تدق طعم الهوان قبل ذلك اليوم وقد تأملت زبيدة من تلك المعاملة القاسية التي عاملها بها هذا القائد الظلوم ، وعند ما فرغ صبرها ، وضاق ذرعها ، تجللت فأمسكت القلم يمينها ، وسطرت كتاباً إلى المأمون تستعطفه وتقول :

« كل ذنب يأمر المؤمنين وإن عظم ، صغير في جانب عفوك ، وكل إساءة وإن جلّت ، يسيرة لدى حلمك ، وذلك الذي عودك الله أطال مدتك ، وتم نعمتك ، وأدام بك الخير ، ودفع عنك الشر والضرير وبعد ، فهذه رقعة الوهي ، التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي المات لجميل الذكر ، فان رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتى وقلة

حيلتي ، وتصل رحي ، وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راغباً
فافعل ، وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعي لديك»

ثم أضافت إلى ذلك أقوالاً شرحت فيها معاملة طاهر واضطهاده
لها ، وقالت : فإن كان ما فعله صادراً عن رضاك رضيت بنصيبى من
الأقدار ، وإن كان يعتسف بغير رأيك فانك قادر على تغيير الحال
وقد أرسلت الرقعة مع جارية لها تدعى (خالصة) وأوصتها أن
تسلمها إلى المأمون يدأ بيد ، وما كاد المأمون يقرأها حتى بكى وقال
لمن حوله ، قول على عليه السلام عندما وصل اليه خبر استشهاد عثمان
رضى الله عنه : والله ما كان ذلك برأى ولا على

ثم أجاب زبيدة بكتاب لطيف ، وردَّ اليها أموالها وضياعها ، وعمل
على رفع قدرها ، وإصلاح شأنها ليمحو من نفسها أثر الأحزان التى
انتابتها ، كما ونج طاهراً على ما فعله

وكتبت أبياتاً للمأمون ترضى بها سوء حالها بعد فقد ولدها
« لخير إمام قام من خير عنصر وأفضل سام فوق أعواد منبر »
« لوارث علم الأولين وفهمهم وللملك المأمون من أم جعفر »
« كتبت وعينى مستهل دموعها اليك ابن عى من جفون ومحجر »
« وقد مسنى ضير وذل كآبة وارق عيني يا ابن عى تفكرى »
« دهمت لما لاقيت بعد مصابه فأمرى عظيم منكر أى منكر »

« سأشكو الذي لاقيته بعد فقدته إليك شكاة المستضيئ المقهر »
 « وأرجوك لما قدم ربى مذ فقدته فأنت لبئى خير من رب معمر »
 « أتى (طاهر) لاظهر الله طاهراً فما (طاهر) فيما أتى بمطهر »
 « فأخرجنى مكشوفة الوجه حاسراً وأنهب أموالى وأضرب أدؤرى »
 « يعز على هروب ماقد لقيته وما مرّ بى من ناقص الخلق أعور »
 « فان كان ما أبدى بأمر أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر »
 « تذكر أمير المؤمنين قربابى فديتك من ذى حرمة متذكر »
 فلما قرأها المأمون بكى وقال : أنا الطالب بئار أخى ، قتل الله من
 قتله . ثم ان المأمون عطف على زبيدة فجعل لها مكاناً فى قصر الخلافة ،
 وأقام لها الوظائف والخدم والجوارى
 بعد ذلك عاشت زبيدة فى عيشة راضية ، ونعمة تامة ، تستعيد
 بهجتها السابقة ، وعظمتها السالفة ، وتعمل على نسيان الإساءة التى لحقتها
 على يد طاهر بن الحسين ، تحت ظلال وارفة من نعم المأمون وإحساناته
 المتوالية
 وبعد أن تزوج المأمون (بوران) محبوبته بست سنوات انتقلت
 السيدة زبيدة من دار الفناء إلى دار البقاء فى التاسعة والستين من
 عمرها ، وكانت وفاتها ببغداد فى جمادى الأولى سنة ٣١٦ هجرية
 رحمها الله رحمة واسعة ، وتركت صفحة ممتازة ناصعة

فالأميرة زبيدة هذه من ملكات الشرق ذات الأثر الباهر ، ومن
أجل نساء الإسلام ذكراً ، ومن مخدرات الإسلام التي كانت عوناً
على رفع كلمة الشرف

فاذا ما ذكر اسمها وجب أن يذكر مقروناً برفاة الشرق وفخامته
وما كان له من علو الشأن في العصر الثاني للهجرة ، وبالجملة لقد كانت
امراً عظيمة ، وسيدة أميرة

١٥ — سارة (زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام)

كانت أحسن نساء زمانها جمالاً ، وأوفرهن عقلاً وكلاً ، تزوجت
بسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكان يحبها محبة عظيمة ، وكانت لم
تعصه في شيء ما ، وبذلك أكرمها الله تعالى ، وكان قدم بها ابراهيم إلى
مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى ، وقد وُصف له حسننها وجمالها ،
فأرسل إلى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له : ما هذه المرأة منك ؟
فقال : هي أختي ، وتخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله

فقال له : زينها وأرسلها إلى حتى أنظر إليها ، فرجع ابراهيم إلى
(سارة) وقال لها : إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته إنك أختي فلا
تكذبيني عنده ، فانك أختي في كتاب الله عز وجل

ثم أقبلت (سارة) على هذا الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي، فلما دخلت عليه ورآها أهوى إليها يتناولها بيده، فبيست يده إلى صدره فلما رأى ذلك عظم أمرها وقال لها: سلى ربك أن يطلق يدى، فوالله لا آذيتك

فقالت (سارة) اللهم إن كان صادقاً فاطلق له يده، فأطلق الله تعالى يده

وقيل: أنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها فتييس يده فلما رأى ذلك ردّها إلى إبراهيم ووهب لها (هاجر) وهى جارية قبطية، فأقبلت إلى إبراهيم ومعها هاجر وهى تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون

وكانت (سارة) قد حرمت الولد حتى شاخت وأسنت، فوهبت (هاجر) إلى إبراهيم بقولها: إني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له (إسماعيل) عليه السلام وكانت (سارة) بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وبُشِّر إبراهيم بأنه سيرزقه الله بولد من سارة، وقد كان وحملت سارة (باسحق) وقيل: كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً، وشب الغلامان

فيئناهما يتناضلان ذات يوم، وكان إبراهيم عليه السلام سابق

بمنهما ، فسبق اسماعيل ، فأخذه وأجلسه في حجره ، وأجلس اسحق إلى جانبه ، وسارة تنظر اليه ، فغضبت وقالت : عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك ، وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جانبك

وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة ، فخلعت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها ، ثم تاب إليها عقلا ، فبقيت في ذلك ؟ فقال لها ابراهيم عليه السلام : اخفضيها وأتقي أذنها ، ففعلت ، فصار ثقب الأذن سنة في النساء

ثم إن اسماعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما يفعل الصبيان ، فغضبت سارة على هاجر وقالت : لا تساكنتي في بلد ، وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها ، فأوحى الله إليه أن يأتي بهما إلى مكة فذهب بهما ، وقصتهما مشروحة في قصة ابراهيم الخليل في الجزء الأول من أحسن القصص

وتوفيت (سارة) ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة ، وقيل : مائة وسبع وعشرون سنة بالشام بقرية الجبارة بأرض كنعان في (جبرون) في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها ، وتسمى تلك المزرعة حقل المكفيلة (في التوراة) الحالية

١٦ — ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي

كانت من أجمل نساء زمانها ، وأوفرهن عقلاً ، وأثبتهن جناناً ،
وأعلاهن رأياً ، وأشدهن حَزْماً ، شاركت أخاها الحاكم بأمر الله في
إدارة شئون الملك ، حتى صار يَقْطَعُ الأمور عن رأيها . وقد كان
الحاكم بأمر الله متصفاً بالجور ، والظلم ، والعسف في أمور الرعية ،
وغلا في النهب والسلب ونهك الحرُمات ، حتى أبغضه أهل مصر ولم
يُخْفُوا كراهتهم له ، وصاروا يلعنونه في كل مكان ، ويضرعون إلى الله
أن يُنْقِذَهُمْ مِنْ جَوْرِهِ . وقد بلغ به الجنون أنه أمر بإحراق مصر ونهبها
انتقاماً من أهلها ، فأطاعه جنوده وقتلوا أهلها أشدَّ قتال مدة يومين ،
وفي اليوم الثالث انضم الأتراك إلى أهل مصر وهددوه ، فلما رأى
ذلك أمر بالكف عن القتال بعد أن أُحرق جزء كبير من المدينة ،
وسُحِبَ الكثير من بيوتها وحوانيتها ، فلما اشتد غيظ الناس وَخَنَقَهُمْ
عليه ، ظن أن ذلك من أخته (ست الملك) لعلمه أنها تُخَالِطُ الساسة
والعلماء ، لِرُقَى عقلاها ، وعلو كعبها في السياسة وتدير الأمور بالحكمة ،
وصائب أفكارها ، فعمد من حُفْمِهِ وجهله إلى قتلها واغتيال حياتها .
فلما علمت بذلك ، عَوَّلَتْ على الكيد له حفظاً لحياتها وتخليصاً للرعية
منه ، فأرسلت إلى قائد كبير ، وقالت له : أنت تعلم ما يعتمده أخي

فيك ، وأنه متى تمكن منك لا يُبقَى عليك ، وقد بلغ منتهى الظلم والعسف ، واشتد بالعباد الأمر ، وأخاف أن يقوموا عليه قوَّة رجل واحد ، فيهلك ونهلك نحن معه ، وتقرض الدولة . فراق لديه ما قالت ، ثم قالت : إن الحاكم سيُصعَّد في هذا الجبل غداً ولا يصحبه إلا صبي ، فأقيم رجلين تثق بهما يقتلانه والصبي ، ثم تقيم ولده من بعده ، وتكون أنت مدير الدولة وأزيدُ في إقطاعك مائة ألف دينار . ثم أعطته ألف دينار للرجلين ، فاختر اثنين من ثقاته وأخبرها بالقصة ، فمضيا إلى الجبل ، ولما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر . فلما أيقن الناس بقتله ، اجتمعوا إلى اخته (ست الملك) لعلمهم بكفائها ، وثقتهم بعدها ، ونزاهتها ، وبعد نظرها ، وشاوروها فيمن يخلف أخاها ، فأجلست على سرير الحكم (على بن الحاكم) وهو لا يزال صبياً ، وباع له الناس ولقبوه (بالظاهر) وأنشأت (ست الملك) تدبير الدولة وصية على ابن أخيها ، رافعة لواء العدل بين الرعية ، منصبة للمظلومين ، ضاربة على أيدي البغاة والطاغين ، فأحسن الناس بالفرق العظيم بين حكمها وحكم أخيها ، فأحبوها حباً جماً ، ولكنها لم تعمّر طويلاً ، فماتت بعد أربع سنين سنة ٤١٥ هـ . فجزن عليها أهل مصر ، ولم ينسوا فضلها العيم . أثابها الله جزاء إحسانها ، وأجزل لها الأجر في دار النعم

١٧ — شجرة الدر (عصمة الدين)

هي أول امرأة في الإسلام تقلدت الملك، وأدارت دفة الحكم بمهارة وحسن دراية

وكانت في أول أمرها جارية ظريفة يحبها (الصالح نجم الدين أيوب) الملك السابع في حكومة الدولة الأيوبية . فولدت له غلاما سمي (خليل) وتزوجها بعد ذلك وأشركها في الحكم ، وقد أظهرت قدرة خارقة للعادة في إدارة الأمور ، وكانت تمدد برأيها وتعاونه بفكرها ، وكانت الزوجة الصالحة ، شريكة العمر ، وصديقة الحياة ، فبدأ يشعر بقيمة هذه المعونة الأدبية . ويقدرها حق قدرها ويسر بها

ومن جليل أمرها أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب بناحية المنصورة في قتاله مع الافرنج ، قامت بالأمر ، وكتمت موته واستدعت ابنه (توران شاه) من بلاد (القوقاز) وسلمت اليه مقاليد الأمور ، وتسلمت بقلعة دمشق في رمضان سنة ٦٤٧ هـ وقدم إلى الصالحية وأعلن يومئذ بموت الصالح نجم الدين ، ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموته ، بل كانت الأمور جارية على حالها ، وشجرة الدر تدير أمور الدولة وتوهم الناس أن السلطان مريض ولا سبيل لوصول أحد اليه وكان (توران شاه) ملكاً مستبدّاً ، وحاكماً مغروراً ، فكهرته

الرعية بعد أربعين يوماً من تولية الحكم ، وجاهرت المالك البحرية بعدوانه وأقسمت بالانتقام منه

وبينما كانت (شجرة الدر) في قصرها بالمنيل تقضى أوقات الحياة محفوفة بالعز والإجلال ، أرسل إليها (توران شاه) يطلب منها رد أموال أبيه وأملاكه ، ويهددها باستعمال القوة والعنف . فردت عليه تقول : أنها صرفت أموال أبيه في الجهاد المقدس ؛ إلا أن جوابها لم يرق في نظره ، فغضب غضباً شديداً ، وقابل إجابتها بلهجة عنيفة ، لا يليق صدورها من رجل لامرأة أبيه

وما كانت (شجرة الدر) تنتظر مثل هذه المعاملة الخشنة ، وأثارت هذه الحادثة الحنق والغیظ في نفوس المالك ضد (توران شاه)

وتذكرت (شجرة الدر) جميل صنعها مع ابن زوجها ، وكيف أنها جاهدت في سبيل كتمان خبر الوفاة ، وكيف دبرت مجيء ولي العهد ، ومهدت له سبيل الحكم ، وكانت كلما عاودتها الذكري اشتد غضبها ، وازداد هياجها ، وتمردها نحوه ، لأنه لو لم تكن (شجرة الدر) لانفجرت قنابل الثورات في البلاد ، عقب وفاة الملك الصالح ، ولولا تديرها الساء الحال والمآل ، فلا لوم عليها ولا تثريب إذا هي رفعت لواء التمرد والعصيان ضده ، فقد اتسعت شقة الخلاف بينهما ، وأخذ الذين يحشرون

(بتوران شاه) يعملون على اشتداد الأزمة وينفخون في صدره مايزيد النار إضراراً فيقولون له :

إنما الملك والقوة في يد (شجرة الدر) وما أنت سوى صورة للحكم ،
إنك لضعيف عاجز ، لا تستطيع أن تتمتع بالسلطة ، مادام منافسوك على
قيد الحياة

ولما أساء (توران شاه) تدبير نفسه قتله المماليك البحرية شرقتلة بعد
سبعين يوماً من ولايته ، وبموته انقرضت دولة بنى أيوب من مصر
ثم اجتمع المماليك البحرية على أن يقيموا بعده في السلطنة (شجرة
الدر) باجماع الاراء أميرة لهم تحت عنوان (الملكة عصمة الدين)
فأقاموها بحفلة زاهرة ، وحلفوا لها يمين الطاعة في عاشر صفر ، ورتبوا (عزالدين
أيك التركمانى) مقدم العسكر ، فسار إلى قلعة الجبل ، وأنهى ذلك إلى
(شجرة الدر) فقامت بتدبير المملكة ، وكانت تقطن في سراى النيل على
شاطئ النيل في قصر بديع ، وأجمل موقع من مواقع مصر

وما كادت تتسلم زمام الحكم حتى تركت قصرها البديع وما فيه
من نقائس وزخارف ، وانتقلت إلى القلعة المشهورة ، التى بناها صلاح الدين
الأيوبي ، واتخذتها مقراً لحكمها . وبدأت (شجرة الدر) تجمع وزرائها فى
غرفة من غرف القلعة وتحضر مجلسهم (من وراء ستار رقيق) ثم عينت
(م - ٩ - خامس)

أحدهم وهو (عز الدين بن أبيك التركاني) في رتبة رئيس الوزراء .
وكان رجلاً مقداماً ، وقائداً محنكاً ، جرى القلب ، زكي الفؤاد ، مشهوراً
بعلمه وفضله ، وحسن درايته ، فعرف كيف يستولى على قلوب الشعب
وينال ثقتهم ؛ كما أنه عرف كيف يفوز بالتفات الملكة وحسن تقديرها
لكفاءته

وكان الخطباء يخطبون في يوم الجمعة باسمها على المنابر ويقولون :
« احفظ اللهم الجبهة الصالحة ، ملكة المسلمين ، عصمة الدنيا والدين ،
ذات الحجاب الجميل ، والستر الجليل ، والدة المرحوم خليل ، زوجة
الملك الصالح نجم الدين أيوب »

ولم تكتف (شجرة الدر) بأن يقرأ اسمها في خطب الجمعة بل ضربت
نقوداً باسمها نقشت على وجه منها : بسم الله الرحمن الرحيم
وعلى الوجه الآخر ، المستعصمة الصالحة ، ملكة المسلمين ، والدة
منصور خليل الخليفة أمير المؤمنين

وكانت توقع بقولها : (والدة خليل)
ولقد أحدثت في الإسلام بدعة المحمل الشريف ، ففي عهدها سافر
أول محمل في الإسلام من مصر إلى الحرمين الشريفين
وكانت (شجرة الدر) رغم مظاهر حياتها الخصوصية امرأة مسلمة

ذات ميزة خاصة في حياتها العمومية ، وكانت على علم تام بنفسية الشعب ، ولم تكن حكومتها استبدادية ، لا تشريع في عمل من الأعمال حتى تعقد مجلس المشاورة ، ولا تصدر قراراتها إلا بعد الرجوع إلى رأى وزرائها ومستشاريها ، وإذا حدثتها نفسها بأمر تريد إبلاغه إلى الناس مباشرة أرسلت في طلب وزيرها (ابن أيك) وبعد المباحثة والمناقشة معه تأمر بإصدار أوامرها الملكية

وبينما كان حكم (شجرة الدر) آخذاً في طريق الشهرة بما كان يلاقه من أقبال الشعب ورضائه ، بدأت عصاة من الناس من أتباع (توران شاه) الذين فروا إلى الشام تدس الدسائس ، وتنصب شباك الفتن ، حول عرشها ، رغبة في إسقاطها

وقامت الفتن على ساق وقدم ، وبدأ العصاة من أهل الشام ينفخون في أبواب النفاق ، بما يرمى إلى الشقاق ، بدعوى أنه لا يجوز شرعاً لامرأة أن تتولى شؤون المسلمين ، مع أن شجرة الدر لم تأت أمراً بغضب عامة المسلمين ، سواء أكان في مصر أو في سوريا ، فضلاً عن احترامها لمقام الخليفة (المستعصم بالله)

وانتهت هذه الفتن بدعوة أمير حلب (الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي) وبايعوه أميراً على الديار الشامية ، فسار إلى دمشق وملكها ، فانزعج العسكر بالقاهرة

وقد أدركت (شجرة الدر) بفطنتها وحسن درايتها حقيقة الحال ،
فعمدت مجلساً من أركان الدولة واستشارتهم في الأمر ، فقر رأيهم
بالاجماع على أن تترك زمام الادارة إلى (عز الدين بن أيك) وأن
يعقد له عليها عقب تنصيبه الحكم ، ثم تنفذ القرار ، وتعين (عز الدين بن
أيك) سلطاناً على مصر ، ونزلت شجرة الدر عن الملك بعد أن حكمت
ثمانين يوماً ، وأرسلوا إلى الخليفة يشعرونه بتبدل الحال

ولم يتغير الحال كما زعموا ، بل كانت (شجرة الدر) هي الحاكمة تنهى
وتأمر من وراء الستار ، عقب زواجها بأمر البلاد عز الدين

تربعت (شجرة الدر) في قلب (عز الدين) كما تربعت في عرش مصر
من قبل ، فكان يخدمها خدمة جلية ، ولا يتوانى لحظة عن سلوك
السبل المؤدية إلى راحتها ومرضاها

ولم تصل (شجرة الدر) إلى هذه المنزلة اعتباطاً ، ولم يجلبها عز الدين
من نفسه ذلك المحل الأسى إسرافاً ، فقد كانت امرأة زاهية زاهرة ،
ذات ذكاء وعلم ودراية

وكان (عز الدين) مفتوناً بشجرة الدر منذ زواجه بها عام ستمائة
وثمانية وأربعين هجرية

وكان يحبها ويحترمها من أعماق قلبه ، لذلكها ، وجمالها ، ومركزها
وماضيها المجيد

ولكن كان له زوجة أخرى هى أم ولده الوحيد (نور الدين)
عقد عليها قبل زواجه بشجرة الدر ، فحكمت عليه بالابتعاد عنها بتأنًا ،
وأمرته باحضارها وتطليقها منه فى الحال ، قتم لها ما أرادت ، وظلت
نيران الغيرة تتأجج فى صدر عز الدين وشجرة الدر ، واتسعت شقة
الخلاف بينهما ، حتى انقلبت على ممر الأيام إلى خصومة شديدة ، انتهت
بقتله ، أولاً ، بتدبير شجرة الدر فى الحمام وإخفاء جثته ، ثم بقتلها

وجاء فى كتب التاريخ أن أم نور الدين أمرت جوارىها فانهن
(بالبقايب) على شجرة الدر إلى أن ماتت شرموة ، ودفنوها فى المقصورة
الخاصة بها داخل المسجد المعروف باسمها بجوار السيدة نفيسة بالقاهرة ،
ولقد فرّ بعض الأغوات الذين اشتركوا فى مقتل (عز الدين) وألقى
القبض على البعض الآخر ، وصلبوا داخل القلعة

وبذلك انتهت حياة تلك الملكة الكريمة ، صاحبة الخيرات العديدة ،
والحسنيات العظيمة ، التى يعدها المؤرخون خارقة من خوارق الدهاء ،
ولا يذكرونها إلا بالثناء ، ويعرفونها بأنها كانت عاقلة ، قارئة ، كاتبة ،
ذات فطنة ودراية ، فالعصمة والكمال لله وحده ، وسبحان الذى بيده
ملكوت كل شئ ، يعز من يشاء ، ويدل من يشاء ، بيده الخير ،
وهو على كل شئ قدير

١٨ - صفية بنت عبد المطلب

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أم الزبير بن العوام وأما (هالة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة ، وهى شقيقة حمزة والعوام وحجل بنى عبد المطلب ، لم يختلف فى إسلامها من عمات النبی صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو أبى سفيان بن حرب ، فمات عنها ، فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة ، وعاشت كثيراً ، وتوفيت (بالقيع) ولما قتل أخوها حمزة ، وجدت عليه وجداً شديداً ، وصبرت صبراً عظيماً

وقيل : انها أقبلت لتتنظر إلى حمزة (بأحد) وكان أخاها لأُمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير : القها فارجعها لا ترى ما بأخيها ، فلقبها الزبير وقال : أى أمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن ترجعى ، قالت : ولم فقد بلغنى أنه مثل بأخى وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأصبرن ، ولاحتسبن إن شاء الله فلما جاء الزبير اليه وأخبره بقول صفية ، فقال : خلّ سبيلها ، فأتته فنظرت اليه ، واسترجعت ، واستغفرت له

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن
وقيل : كانت صفية بنت عبد المطلب في (فارغ) حصن حسان بن
ثابت مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت صفية : فمر بنا رجل يهودى فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت
(بنو قريظة) وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم
لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ان أتانا آت، قالت :

فقلت : يا حسان إن هذا اليهودى يطوف بالحصن كما ترى ، ولا
آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود ، فانزل اليه فاقتله ،
فقال حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا
بصاحب هذا . قالت صفية : فلما قال ذلك لم أر عنده شيئاً احتجرت
وأخذت عموداً ونزلت من الحصن اليه فضربت به بالعمود حتى قتلتها ،
ثم رجعت إلى الحصن فقالت : يا حسان، انزل فاسلبه فانه لم يمنعنى من
سلبه إلا أنه رجل . فقال : مالى بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب

وهى أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين

وكانت شاعرة فصيحة ، متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل
والشرف والحسب والنسب ، ومن قولها ترثى النبي صلى الله عليه وسلم :

« ألا يارسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برًّا ولم تك جافيا »
 « وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ليبيك عليك اليوم من كان باكيا »
 « فدى لرسول الله أمي وخالتي وعمي وخالي ثم نفسي وماليا »
 « فلو أن ربَّ الناس أبقي نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا »
 « عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من عدن راضيا »

١٩ — فاطمة بنت أسد

نسبها - فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أم
 على بن أبي طالب وأم اخوته طالب وعقيل وجعفر
 قيل : انها توفيت قبل الهجرة ، والصحيح أنها هاجرت إلى المدينة
 وتوفيت بها

قال الشعبي : أم على فاطمة بنت أسد أسلمت وهاجرت إلى المدينة
 وتوفيت بها ، وقال على لأمه فاطمة بنت أسد : اكفي فاطمة بنت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء ، والذهاب في الحاجة ، وتكفينك من
 الداخل الطحن والعجن ، وهذا يدل على هجرتها لأن علياً إنما تزوج
 فاطمة بالمدينة

قال الزهري : هي أول هاشمية ولدت لهاشي ، وهي أيضاً أول هاشمية
 ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت

الحسن ، ثم زبيدة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لانعلم غيرهن ؛ ثم ان هؤلاء الثلاثة لم تصف لهم الخلافة ، فأما على فإنه كان من اضطراب الأمور عليه إلى أن قتل كما هو مشهور ، وأما الحسن والأمين فخلعا وقيل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فاطمة بنت أسد لما ماتت في قميصه ، واضطجع في قبرها ، وجزأها خيراً ، فقيل له : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ؟ قال :

انه لم يكن بعد أبى طالب أبرّ بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حل الجنة واضطجعت في قبرها ، ليهون عليها عذاب القبر قال الزبير : انقرض ولد أسد بن هاشم إلا من ابنته فاطمة بنت أسد وكان لها فضائل مشهورة ، وماثر مشكورة ، مذكورة في كتب التاريخ

٢٠ — فاطمة ابنة الخطاب

نسبها — هي فاطمة ابنة الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشية العدوية أخت عمر بن الخطاب

إسلامها — وقد أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي قبل إسلام أخيها عمر ، وهي كانت سبب إسلامه كما مرّ ذكره في سيرته رضى الله عنه ، وهي إحدى العشرة الذين أسلموا أول الإسلام

وبقيت تعضد الإسلام ، وتحرض نساء قريش على اتباعه ، حتى دخل
في دين الإسلام نساء ورجال كثيرون بسببها
مناقبها - وكانت أديبة فاضلة ، عاقلة ، محبة للخير ، كارهة للشر ،
أمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر
وفاتها - توفيت في مدة خلافة أخيها عمر بن الخطاب

٢١ - فاطمة ابنة عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة زمانها ، وأديبة عصرها وأوانها ، ذات جمال رائع
وحسن فائق ، ودين وورع ، لم يسبق اليه أحد من نساء بني أمية
تزوجت بعمر بن عبد العزيز الأموي قبل أن يتولى الخلافة ، فغمرها
بأمواله ، وأقنعها بنواله ، وهى لم تكن بأقل منه مالاً ، وقد عاشا في
مبدئهما عيشة الرفاهية والتنعيم ، ولما آلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز
رأى أن عبأها ثقيل لا يحمله عاتقه ، ومن جملة ما صنعه أنه قال لفاطمة :
إن أردت صحبتى فردى مامعك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال
المسلمين فإنه لهم ، وإنى لأجتمع أنا وأنت في بيت واحد ، فردته جميعه ،
ولم تبق لها منه خلال ابرة ، وبقيت معه في عيشة التقشف والضيق
مع اتساع الخلافة والملك إلى أن مات

فلما انتقلت الخلافة إلى أخيه (يزيد بن عبد الملك) قال لها : ان عمر قد ظلمك في مالك ، وإني رددته إليك فخذيه

قالت : كلا ، والله لا آخذه ، فإكنت لأطيعه حياءً وأعصيه ميئاً

فأخذه يزيد وفرقه على أهله ، وبقيت فاطمة في حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت. بزوجها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

٢٢ — فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين محمد بن احمد السمرقندى

كانت من الفقيحات العالمات بعلم الفقه والحديث ، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء ، وأخذ عنها كثيرون ، وكان لها حلقة للتدريس ، وقد أجازها جملة من كبار القوم ، وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم ، تزوجت بفخر الأنام العالم العلامة (علاء الدين القاشانى) ومكثت معه زمناً طويلاً ، وقد ألقت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث ، وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء والأفاضل

وكانت معاصرة للملك العادل (نور الدين الشهيد) وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية ، وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية ، وكان دائماً ينعم عليها ويعضد مسعاها

وقد توفيت بمدينة حلب ودفنت في مقبرة من قبور الصالحين ، وقبرها هناك مشهور (بقبر المرأة وزوجها) لأنها دفنت بعد وفاته بجانبه

٢٣ — هاجر (زوجة ابراهيم الخليل عليه السلام)

كانت جارية مصرية ، ذات هيئة جميلة ، قد وهبها فرعون ملك مصر لسارة زوجة ابراهيم عليه السلام حينما كانت عنده ، وقد وهبتها سارة لابراهيم عليه السلام وقالت له :

إني أراها امرأة وضيئة ، فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها ولداً ، فتزوجها ابراهيم ، وقد رزقه الله منها اسماعيل عليه السلام ، وذهب بهما إلى مكة ، بسبب أن اسحق بن سارة تشاجر مع اسماعيل ذات يوم كما تفعل الصبيان ، فغضبت سارة على هاجر وقالت : لاتساكننى فى بلد وأمرت ابراهيم بعزلها عنها ، وقد أوحى الله اليه أن يأتى بهما مكة ففعل وأنزلها موضع (الحجر) وأمرها أن تتخذ عريشاً ، ثم قال :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

ثم انصرف ، فاتبعته هاجر ، فقالت : إلى من تكلنا ؟ فلم يرد عليها شيئاً ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعاً إلى الشام ، وكانت مع هاجر قربة ماء فنقد الماء فعطشت وعطش الصبي ، فنظرت إلى الجبال التى أدنى من الأرض

فصعدت إلى (الصفا) وتسمعت ، لعلها تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً ، فلم تسمع شيئاً ، ولم تر أحداً ، ثم انها سمعت أصوات سبع الوادى نحو اسماعيل ، فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه وتحافظ عليه

ثم انها سمعت صوتاً نحو (المروة) فسعت ، وما تدري السعى كالانسان المجهد ، فهي أول من سعى بين (الصفا والمروة) فأصبحت سنة السعى

من وقتها متبعة للان

ثم صعدت (المروة) فسمعت صوتاً كالانسان الذى يكذب سمعه منه حتى استيقنت ، وجعلت تدعو : يا الله قد أسمعنى صوتاً فأعثنى فقد هلكت ومن معى ، فاذا هى بجبريل عليه السلام ؟ فقال لها : من أنت ؟ فقالت : سرية ابراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا

قال : وإلى من وكلكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله تعالى

قال : فقد وكلكما إلى كاف

ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما ، حتى انتهى بهما إلى موضع (زمزم) فضرب بقدمه فقارت عين ، فلذلك يقال لزمن (ركضة جبريل عليه السلام)

فلما نبع الماء أخذت هاجر قربة لها ، وجعلت تستقى فيها تدخره فقال لها جبريل : لاتخافى الظماً على أهل هذه البلدة فانها (عين

لشرب ضيفان الله تعالى (وقال لها : إما أن أبا هذا الغلام سيجيء
فيعينان لله تعالى بيتاً هذا موضعه

قالوا : ومرت رققة من (جرهم) تريد الشام فأرأوا الطير على الجبل
فقالوا : إن هذا الطير لحائم على ماء ، فأشرفوا فاذا هم بالماء ، فقالوا لها :
إن شئت كنا معك فأنسناك ، والماء ماؤك ، فأذنت لهم فنزلوا بها وهم
سكان مكة حتى شبَّ اسماعيل

وماتت هاجر قبل سيدتها سارة ودفنت في (الحجر)
وسبق ذكر هذه القصة في قصة اسماعيل عليه السلام في الجزء
الأول من كتابنا أحسن القصص ، والله تعالى أعلم

.....
انتهى بعون الله وتوفيقه تأليف الجزء الخامس من كتاب أحسن القصص
في غرة المحرم سنة ١٣٥٣

.....
تم طبعه والله الحمد في يوم السبت ٥ جمادى الثانية

الموافق ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤

والصلاة والسلام على سيدنا محمد في المبدأ والختام

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٩ ٩ -	السيدة فاطمة النبوية	٢	الاهداء
	بنت الحسين	٣	المقدمة
٦٣ ١٠ -	السيدة سكيمة	٥	أمهات المؤمنين
٦٦ ١١ -	السيدة رقية	١ -	السيدة آمنة بنت وهب
٦٧ ١٢ -	السيدة عائشة النبوية	٨	أم النبي ﷺ
٦٨ ١٣ -	السيدة نفيسة بنت	١٧ ٣ -	السيدة خديجة بنت خويلد
	سيدي حسن الأنور	٣٢ ٤ -	السيدة عائشة
٧٤	سير بعض النساء الشهيرات	٣٦ ٥ -	زينب بنت جحش
١ -	أروى ابنة الحرث بن		السيدة زينب بنت
	عبد المطلب		الرسول
٧٥ ٢ -	أسماء ابنة أبي بكر الصديق	٣٩ ٦ -	السيدة فاطمة الزهراء
٧٩ ٣ -	أسماء ابنة يزيد الانصارية		بنت الرسول
٨٠ ٤ -	آسية امرأة فرعون	٤٨ ٧ -	السيدة زينب بنت
٨٢ ٥ -	أم الخير بنت الحريش		الإمام علي
٨٦ ٦ -	بلقيس ملكة سبأ	٥٦ ٨ -	السيدة أم كلثوم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٥ ١٦ -	ست الملك بنت العزيز بالله الفاطمي	٨٩ ٧ -	بكاارة الهلالية
١٢٧ ١٧ -	شجرة الدر	٩٠ ٨ -	تماضر الشهيرة بالخنساء
١٣٤ ١٨ -	صفية بنت عبدالمطلب	٩٥ ٩ -	خولة بنت الأزور
١٣٦ ١٩ -	فاطمة بنت أسد		الكندى
١٣٧ ٢٠ -	فاطمة ابنة الخطاب	٩٧ ١٠ -	الخيزران ابنة عطاء
١٣٨ ٢١ -	فاطمة ابنة عبدالملك	١٠٣ ١١ -	الدارمية الحجونية
	ابن مروان	١٠٤ ١٢ -	رابعة العدوية
١٣٩ ٢٢ -	فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين	١٠٩ ١٣ -	رحمة زوجة نبي الله
١٤٠ ٢٣ -	هاجر زوجة ابراهيم الخليل		أيوب
		١١٢ ١٤ -	زيدة أم الأمين
		١٢٣ ١٥ -	سارة زوجة ابراهيم الخليل







